وصايا عرفانية

الإمام الخميني قدس سره

تجليات رحمانية

وصية الإمام إلى السالكين

وصية إلهية عرفانية سلوكية للإمام إلى ابنه السيد أحمد (رحمه الله)، يذكر فيها أمهات المسائل التوحيدية والعملية. نشرت أول مرة في لبنان في مجلة الرصد التابعة للمستشارية الثقافية مع كثير من الأخطاء، ثم أعيد نشرها في مجلة "بقية الله" مع بعض التصحيحات.

وقد عثرت على أصلها الفارسي مؤخرا وأعدت تصحيح ترجمتها المليئة بالأخطاء.

من المهم أن يلتفت القارئ إلى أن هذه الوصية بمعظمها تنقسم إلى قسمين متداخلين: الحقائق والوصايا العملية. وما لم ندرك الحقائق لا نستفيد من الوصايا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآلة الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن عليّاً أمير المؤمنين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم خلفاؤه وأن ما جاء به

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقٌ، وأن القبر والنشور والجنة والنار حقٌ وأن الله يبعث من في القبور.

وصية من أب عجوز أهدر عمره ولم يتزوّد للحياة الأبدية ولم يخط خطوةٌ خالصةٌ لله المنان، ولم ينج من الأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية، لكنه غير آيس من فضل وكرم الكريم تعالى وهو يأمل بعطف وعفو الباري جلَّ وعلا، ولا زاد له سوى هذا.. إلى إبن يتمتّع بنعمة الشباب متاحة أمامه فرصة لتهذيب النفس وللقيام بخدمة خلق الله، والأمل أن يرضى الله تعالى عنه، كما رضي عنه أبوه، وأن يُوفَّق لخدمة المحرومين الذين يستحقون أكثر من بين جماهير الشعب وقد أوصى بهم الإسلام.

بُنيّ أحمد ـ رزقك الله هدايته:

إعلم، أن العالم سواء كان أزلياً وأبدياً أم لا، وسواء كانت سلاسل الموجودات غير متناهية أم لا، وسواء كانت سلاسل الموجودات غير متناهية أم لا، فإنّها جميعا محتاجةٌ، لأن الوجود ليس ذاتياً لها، ولو تفكرت وأحطت عقليا بجميع السلاسل غير المتناهية فإنك ستدرك الفقر الذاتي والاحتياج في وجودها وكمالها إلى الوجود الموجود بذاته والذي تمثل الكمالات عين ذاته. ولو تمكنت من مخاطبة سلاسل الموجودات المحتاجة بذاتها خطاباً عقليا وسألتها: أيتها الموجودات الفقيرة، من يستطيع تأمين احتياجاتكم؟ فإنها ستردُّ جميعا بلسان الفطرة: "إننا محتاجون إلى من ليس محتاجاً مثلنا إلى الوجود، وكمال الوجود". وهذه الفطرة أيضاً ليست من ذاتها، ففطرة التوحيد ﴿.. فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ..﴾(الروم/٣٠) من الله، والمخلوقات الفقيرة بذاتها لن تتبدل إلى غنية بذاتها، فمثل هذا التبديل غير ممكن الوقوع، ولأنها فقيرة بذاتها ومحتاجة، فلن يستطيع سوى الغني بذاته أن يرفع فقرها واحتياجها. كما أن هذا الفقر الذي هو لازم ذاتي لها، هو صفة دائمة أيضا، سواء كانت هذه السلسلة أبدية أم لا، أزلية أم لا، وليس سواه تعالى من يستطيع حل مشاكلها وتأمين احتياجاتها. كذلك فإن أيّ كمال أو جمال ينطوي عليه أي موجود

ليس منه ذاتا، إنما هو مظهر لكمال الله تعالى وجماله ﴿.. وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى..﴾(الأنفال/١٧) حقيقةٌ تصدق على كل شيء وكل فعل وكل قول وإن كلُّ من يدرك هذه الحقيقة ويتذوقها، لن يتعلق قلبه بغير الله تعالى، ولن يرجوَ غيره تعالى.

هذه بارقةٌ إلهية، حاول أن تفكر فيها في خلواتك، ولقن قلبك الرقيق وكررها عليه إلى أن ينصاع اللسان لها، وتسطع هذه الحقيقة في ملك وملكوت وجودك. وارتبط بالغنيّ المطلق حتى تستغني عمن سواه، واطلب التوفيق منه حتى يجذبك من نفسك ومن جميع من سواه، ويأذن لك بالدخول والتشرف بالحضور.

ولدي العزيز:

إن الله جلّ وعلا ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ..﴾(الحديد/٣) "أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبا"(٤- مقطع من دعاء الإمام الحسين يوم عرفة).

أنت لم تكن غائباً لكي أرجو رؤياك

أنت لم تكن بعيدا حتى أبحث عنك(٥- بيت شعر من ديوان فروغي البسطامي)

فهو ظاهر، وكل ظهور هو ظهور له، ونحن بذاتنا حجب. فأنانيتنا وإنيّتنا هي التي تحجبنا "أنت حجاب نفسك، فانطلق منه يا حافظ"(٦- مقطع من بيت شعر لحافظ الشيرازي).

فلنلذ به ولنطلب منه ــ تبارك وتعالى ــ متضرعين مبتهلين أن ينجينا من الحجب "إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعزِّ قدسك، إلهي واجعلني ممن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك"(٧- مقطع من المناجاة الشعبانية).

بني: نحن ما زلنا في قيد الحجب الظلمانية، وبعدها الحجب النورية، ونحن المحجوبون ما زلنا عند منعطف زقاق ضيّق.

بني: إن لم تكن من أهل المقامات المعنوية، إسعَ أن لا تُنكر المقامات الروحانية والعرفانية، لأن الإنكار من أخطر مكائد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء التي تصدُّ الإنسان عن بلوغ جميع المراتب الإنسانية والمقامات الروحانية. وهو يدفع الإنسان إلى إنكار السلوك إلى الله والاستهزاء به أحيانا، مما يجر إلى الخصومة والمعاداة لهذا الأمر. وبهذا فإن ما جاء به جميع الأنبياء العظام (صلوات الله عليهم) والأولياء الكرام (سلام الله عليهم) والكتب السماوية خصوصا القرآن الكريم ـ كتاب بناء الإنسان الخالد، ستموت قبل أن تولد.

فالقرآن الكريم ـ كتاب معرفة الله وطريق السلوك إليه تعالى حُرِّف على أيدي الأصدقاء الجهلة عن طريق وعزل جانباً، فجعلوا يصدرون عنه الآراء المنحرفة، ويفسرونه بالرأي ـ الأمر الذي نهى عنه جميع أئمة الإسلام عليهم السلام ـ وراح كل واحد منهم يتصرف فيه بما تمليه نفسانيته.

لقد نزل هذا الكتاب العظيم في عصر وفي محيط كان يمثل أشد حالات الظلام، كما نزل بين

قوم يعيشون في أشد حالات التخلف وقد أُنزل بيد شخص وعلى قلب إلهي لشخص كان يعيش في ذلك المحيط. كذلك فإن القرآن الكريم اشتمل على حقائق ومعارف لم تكن معروفة آنذاك في العالم أجمع فضلاً عن المحيط الذي نزل فيه. وإن من أعظم وأسمى معاجزه هي هذه المسائل العرفانية العظيمة التي لم تكن معروفة لدى فلاسفة اليونان، فقد عجزت كتب أرسطو وأفلاطون ـ أعظم فلاسفة تلك العصور ـ عن بلوغها وحتى أن فلاسفة الإسلام الذين ترعرعوا في مهد القرآن الكريم، وانتهلوا منه ما انتهلوا من مختلف المعارف لجأوا إلى تأويل الآيات التي صرحت بحياة الموجودات في العالم مثلا، والحال أن عرفاء الإسلام العظام إنما

أخذوا ما قالوه منه، فكل شيء أخذوه من الإسلام ومن القرآن الكريم. فالمسائل العرفانية الموجودة في القرآن الكريم ليست موجودة في أي كتاب آخر.

وإنها لمعجزة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان على معرفة بمبدأ الوحي بحيث يكشف له أسرار الوجود، وكان هو صلى الله عليه وآله وسلم بدوره يرى الحقائق بوضوح ودون أي حجاب وفي ذات الوقت كان حاضرا في جميع أبعاد الإنسانية ومراحل الوجود، فمَثَّل بذلك أسمى مظهر لـ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ..﴾(الحديد/٣) كما سعى إلى رفع جميع الناس للوصول إلى تلك المرتبة، وكان يتحمل الآلام والمعاناة حينما كان يراهم عاجزين عن بلوغ ذلك، ولعل قوله تعالى ﴿طه*مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾(طه/١،٢) إشارة خفية إلى هذا المعنى، ولعل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : "ما أوذي نبي مثلما أوذيت"(١٠- ورد هذا الحديث الشريف في كتاب كنز العمال ج ١١ ح ٣٢١٦١ على الشكل التالية: "ما أوذي أحد مثل ما أوذيت في الله"). يرتبط أيضا بذات المعنى.

إن أولئك الذين بلغوا هذا المقام أو ما يماثله، لا يختارون العزلة عن الخلق أو الانزواء، فهم مأمورون بإرشاد وهداية الضالّين إلى هذه التجليات، وإن كانوا لم يُوفقوا كثيرا في ذلك، أما أولئك الذين بلغوا مرتبة ما من بعض هذه المقامات، وغابوا عن أنفسهم بارتشاف جرعة ما، وظلوا بذلك في مقام الصعق، فإنهم وأن كانوا قد حازوا مرتبة ومقاما عظيما، إلا أنهم لم يبلغوا الكمال المطلوب.

لقد سقط موسى الكليم عليه السلام بحال الصعق نتيجة تجلي الحق، وأفاق بعناية إلهية خاصة، ثم أمر بتحمل أُمر ما، وكذا فإن خاتم النبيين، الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أمر بعد بلوغه القمة من مرتبة الإنسانية ـ وما لا تبلغه الأوهام من مظهرية الإسم الجامع الأعظم ـ بهداية الناس بعد أن خاطبة تعالى﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ*قُمْ فَأَنْذِرْ﴾(المدثر/١،٢).

ولدي العزيز:

هدفت مما ذكرته لك ـ رغم أني لا شيء، بل أقل حتى من اللا شيء ـ أن ألفت نظرك إلى أنك إن لم تبلغ مقاماً ما فلا تنكر المقامات المعنوية والمعـارف الإلهيـة، وكن من أولئك الذين يحبون الصالحين والعارفين، وإن لم تكن منهم. ولا تغار هذه الدنيا وأنت تكنّ العداء لأحباب الله تعالى.

بني: تعرف إلى القرآن ـ كتاب المعرفة العظيم ـ ولو بمجرد قراءته، وشـق منـه طريقا إلى المحبوب، ولا تتوهمن أن القراءة من غير معرفة لا أثر لها، فهذه وساوس الشيطان، فهذا الكتاب كتابٌ من المحبوب إليك وإلى الجميع، وكتـاب المحبـوب محبوبٌ، وإن كان العاشق المحب لا يدرك معنى ما كُتب فيه وقد جاء إليك هادفـاً خلق هذا الأمر لديك: "حب المحبوب" الذي يمثل غاية المرام، فلعله يأخذ بيدك.

واعلم أننا لو أنفقنا أعمارنا بتمامها في سجدةِ شكر واحدة على أن القرآن كتابنا؛ لما وفينا هذه النعمة حقها من الشكر.

بني: إن الأدعية والمناجاة التي وصلتنا عن الأئمة المعصومين عليهم السلام هـي أعظم أدلة إلى معرفة الله جلَّ وعلا، وأسمى مفاتيح العبودية، وأرفع رابطة بين الحق والخلق. كما أنها تشتمل في طيّاتها على المعـارف الإلهيـة، وتمثـل أيـضا وسـيلة ابتكرها أهل بيت الوحي للأنس بالله جلت عظمته، فضلا عن أنها تمثل نموذجا لحال أصحاب القلوب وأرباب السلوك. فلا تصدنك وساوس الجاهلين عن التمـسك أو الأنس بها.

إننا لو أمضينا أعمارنا بتمامها نقدم الشكر على أنّ هؤلاء ـ الأحـرار والواصـلين إلى الحق ـ هم أئمتنا ومرشدونا؛ لما وفينا.

من الأمور التي أودّ أن أوصيك بها ـ وأنا على عتبـة المـوت، أصـعد الأنفـاس الأخيرة ـ: أن تحرص ـ ما دمت متمتعا بنعمة الشباب ـ على دقة اختيار من تعاشـر وتصاحب، فليكن انتخابـك للأصـحاب مـن بـين أولئـك الـصالحين والمتـدينين والمهتمين بالأمور المعنوية، ممن لا تغرهم زخـارف الـدنيا ولا يتعلقـون بهـا، ولا يسعون في جمع المال وتحقيق الآمال أكثر مما هو متعارف، أو أكثر من حد الكفاية،

وممن لا تلوث الذنوب مجالسهم ومحافلهم، ومن ذوي الأخلاق الكريمة، فإن تأثير المعاشرة على الطرفين من إصلاح وإفساد أمر لاشك في وقوعه. واسعَ أن تتجنب المجالس التي توقع الإنسان في الغفلة عن ذكر الله، فإن ارتياد مثل هذه المجالس قد يؤدي الى سلب الإنسان التوفيق، الأمر الذي يعدُّ ـ بحد ذاته ـ خسارة لا يمكن جبرانها.

إعلم أن في الإنسان ـ إن لم أقل في كل موجود ـ حباً فطريا للكمال المطلق وحباً للوصول إلى الكمال المطلق. وهذا الحب يستحيل أن ينفصل عنه كما أن الكمال المطلق محال أن يتكرر أو أن يكون اثنين، فالكمال المطلق هو الحق جل وعلا، والجميع يبحثون عنه، وإليه تهفو قلوبهم وإن كانوا لا يعلمون. فهم محجوبون بحجب الظلمة والنور، ولهذا فهم يتوهمون أنهم يطلبون شيئا آخر وهم لا يقنعون بتحقيق أية مرتبة من الكمال، ولا بالحصول على أي جمال أو قدرة أو مكانة. فهم يشعرون أنهم لا يجدون في كل ذلك ضالتهم المنشودة. فالمقتدرون وأصحاب القوى العظمى، هم في سعي دائم للحصول على القدرة الأعلى مهما بلغوا من القدرة. وطلاب العلم يطلبون الدرجة الأعلى من العلم مهما بلغوا منه ولا يجدون ضالتهم التي غفلوا عنها في ذلك.

ولو أعطي الساعون الى القدرة والسلطة، التصرف في كل العالم المادي من الأرضين والمنظومات الشمسية والمجرات، وكل ما فوقها، ثم قيل لهم: إن هناك قدرةً فوق هذه القدرة التي تملكونها، وهناك عالم أو عوالم أخرى أبعد من هذا العالم، فهل تريدون الوصول إليها؟ فإنهم من المحال أن لا يتمنوا ذلك، بل إنهم سيقولون بلسان الفطرة: "ليتنا بلغنا ذلك أيضا!." وهكذا طالب العلم، فهو إن ظن أن هناك مرتبة أخرى ـ غير ما بلغه ـ فإن فطرته الباحثة عن المطلق ستقول: يا ليت لي القدرة للوصول إليه أو يا ليت لي سعةً من العلم تشمل تلك المرتبة أيضا!

إن ما يُطمئن الجميع ويخمد نيران النفس المتمردة ويحدُّ من إلحاحها واستزادتها في الطلب، إنما هو الوصول إليه تعالى، والذكر الحقيقي له جلَّ وعلا؛ إذا كان

مظهراً له، فإن الاستغراق فيه يبعث الطمأنينة والهدوء، وكأنّ قوله تعالى ﴿..أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد/٢٨). هو نوع من الإعلان أن: إنتبه انتبه! عليك أن تلجأ إلى ذكره حتى تحصل على الطمأنينة لقلبك الحيران الذي يواصل القفز من مكان إلى مكان والطيران من غصن إلى غصن.

فاستمع يا ولدي العزيز ـ الذي أسأل الله أن يجعل قلبك مطمئنا بذكره ـ لنصيحة أبٍ قلق محتار، ولا تتعب نفسك بالانتقال بطرق باب هذا الباب أو ذاك الباب، للوصول إلى المنصب أو الشهرة التي تشتهيها النفس، فأنت مهما بلغت من مقام. فإنك سوف تتألم وتشتد حسرتك وعذاب روحك لعدم بلوغك ما فوق ذلك، وإن سألتني: لِمَ لَمْ تعمل أنت بهذه النصيحة؟ أجبتك بالقول: أنظر إلى ما قال، لا إلى من قال(١٣- غرر الحكم ودرر الكلم لأمير المؤمنين عليه السلام الفصل ٣٠٤٥٤٥ الحديث ١١ "أنظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال".) فما قلته لك صحيح، حتى وإن صدر عن مجنونٍ أو مفتون.

يقول تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(الحديد/٢٢). ثم يتبع ذلك بقوله ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(الحديد/٢٣). فالإنسان في هذا العالم عرضة للتحولات، أحياناً تنزل به المصائب، كما أنه قد يلاقي إقبالاً من الدنيا، فيبلغ فيها المقام والجاه ويحصل على المال ويحقّق أمانيه وينال القدرة والنعمة، وكلا الحالين ليس بثابت، فلا ينبغي أن تحزنك المصائب والنقائص فتفقدك صبرك، لأنها قد تكون أحيانا في نفعك وصلاحك ﴿.. وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ..﴾(البقرة/٢١٦). كما لا ينبغي أن تدفعك الدنيا بإقبالها عليك وتحقيقها ما يشبع شهواتك إلى أن تتكبر وتفتخر على عباد الله، فما أكثر ما تعده أنت خيراً، وهو شرٌ لك.

بني: إن ما هو مذموم، وأساس ومنشأ جميع ألوان الشقاء والعذاب والمهالك، ورأس جميع الخطايا والذنوب إنما هو "حب الدنيا: الناشئ من "حب النفس" إن

عالم المُلك ليس مذموما في حدِّ ذاته، فهو مظهر الحق ومقام ربوبيته تعالى، ومهبط ملائكته، ومسجد، وكان تربية الأنبياء والأولياء عليهم السلام ومعبد الصلحاء، وموطن تجلي الحق على قلوب عشاق المحبوب الحقيقي، فإن كان حب "عالم الملك" ناشئاً عن حب الله ـ باعتباره مظهرا له جلَّ وعلا ـ فهو أمر مطلوب ويستوجب الكمال. أما إذا كان منشؤه حب النفس، فهو رأس الخطايا جميعا. فالدنيا المذمومة هي في داخلك أنت، والتعلق بغير صاحب القلب، هو الموجب للسقوط. وجميع المخالفات لأوامر الله وجميع المعاصي والجرائم والجنايات التي يُبتلى بها الإنسان، كلها من "حب النفس" الذي يولِّد "حب الدنيا" وزخارفها، وحب المقام والجاه والمال ومختلف الأماني. وفي الوقت نفسه فإن أي قلب لا يمكنه ـ فطريا ـ أن يتعلق بغير صاحب القلب الحقيقي لكن هذه الحجب الظلمانية والنورانية هي التي تجعلنا نميل خطأً واشتباهاً نحو غير صاحب القلب، وهي ظلمات فوقها ظلمات.

نحن وأمثالنا لم نصل إلى الحجب النورانية بعد، ومازلنا أسرى الحجب الظلمانية! فمن قال: "هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة"(١٦- مقطع من المناجاة الشعبانية.) فقد اخترق الحجب الظلمانية وتعدَّاها.

أما الشيطان الذي خالف أمر الله ولم يسجد لآدم، فقد رأى نفسه عظيماً، لأنه كان في الحجب الظلمانية و﴿.. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ ..﴾(الأعراف/١٢). جعلته يُطرد ويُبعد عن ساحة الربوبية! نحن أيضاً، مادمنا في حجاب النفس والأنانية، فنحن شيطانيّون مطرودون من محضر الرحمن، وما أصعب تحطيم هذا الصنم الذي يعدُّ "أم الأصنام". فنحن ما دمنا خاضعين لله (جل وعلا) ولا مطيعين لأوامره، وما لم يُحطَّم هذا الصنم؛ فإن الحجب الظلمانية لن تتمزق ولن تُزال. علينا أن نعرف ما هو الحجاب أولاً، فنحن إذا لم نعرفه، لن نستطيع المبادرة إلى إزالته، أو تضعيف أثره ـ أو في الأقل ـ الحد من تزايد رسوخه وقوته بمرور الوقت.

روي أن بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كـانوا معـه فـسمعوا صوتاً مهيباً، فسألوا: ما هذا الصوت؟ فقال صلى الله عليه وآله وسـلم ″إنـه صـوت حجر كان قد ألقي إلى جهنم قبل سبعين سنة، وقد بلغ قعرها الآن″(١٨- علم اليقين ج٢ المقصد الرابع، الباب١٣ الفصل الرابع). بعدها علموا أن كافراً كـان قـد مـات حينها عن سبعين سنة من العمر. وإذا صح الحديث فإن من سمعوا الـصوت لا بـد أنهم كانوا من أهل الحال، أو قد يكون الأمر قد تمَّ بقدرة الرسول الأكرم صـلى الله عليه وآله وسلم قاصداً إسماع الغافلين وتنبيه الجاهلين. أما إذا لم يصح الحديث ـ ولا أذكره بالنص ـ فإن الأمر في حقيقته كذلك، فنحن نقضي عمراً باتجـاه جهـنم. فنحن نمضي العمر بتمامه نؤدي الصلاة ـ التي تعد أكبر ذكر لله المتعـال ـ ونحـن معرضون عن الحق تعالى، وعن بيته العتيق، متوجهين إلى الذات والى بيت الـنفس. وكم هو مؤلم أن الصلاة التي ينبغي أن تكون معراجاً لنا، وترفعنا إليه وإلى جنة لقائه تعالى تكون سيراً نحو أنفسنا وباتجاه منفى جهنم.

بني: لم أقصد من هذه الإشارات إيجـاد الـسبيل لأمثـالي وأمثالـك لمعرفـة الله وعبادته حق العبادة مع أنه قد نقل عن أعرف الموجودات بالحق تعـالى، وأعرفهـا بحق العبادة له جل وعلا، قوله ″ما عرفناك حق معرفتك، وما عبدناك حق عبادتـك (١٩- مرآة العقول، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، رواية عن رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم.) وإنما لأجل أن نفهم عجزنا، وندرك ضالتنا، ونهيل التراب على أنانيتنا وإنيتنا، لعلّنا بذلك نكبح جماح هذا الغول، ولعلنا نلجمه بعد ذلك ونروّضـه، فنتحرر بعدها من خطر عظيم يكوي ـ مجرد تذكره ـ الروح ويحرقها.

وعليك أن تنتبه! فهناك خطر قد يعترض الإنسان في اللحظات الأخيرة من عمره، وهو يهمّ بمغادرة هذا العالم، والإنتقال إلى مستقره الأبدي. فـإن ذلـك قـد يجعـل المبتلي بحب النفس وما يولّده من حب الدنيا. ـ بأبعادهما المختلفة ـ يرى وهو في حال الإحتضار، وحيث تنكشف للإنسان بعض الأمور فيراها عيانـاً، أن ″مـأمور الله″ جلّ وعلا يريد فصله عن محبوبه ومعشوقه! فيرحل عن هذه الدنيا وهو غاضب على

الله جل وعلا متنفرٌ منه! وهذه عاقبة وثمرة حب النفس والدنيا، وقد أشارت إلى ذلك الروايات المختلفة.

يروي أحد المتعبدين الثقاه قائلا: "ذهبت لزيارة أحدهم ـ وكان يحتضر ـ فقال وهو على فراش الموت: إن الظلم الذي لحقني من الله تعالى لم يلحق أحدا من الناس، فهو يريد أن يأخذني من أبنائي الذين صرفت دم القلب في تربيتهم ورعايتهم! فقمت من عنده ثم توفى. ولعل هناك بعض التفاوت بين ما نقلته وما سمعته من ذلك العالم المتعبد.

على أية حال، فإن ذلك ولو كان مجرد احتمال الحدوث فهو أمر على درجة خطيرة من الأهمية تدفع الإنسان إلى التفكير بجدية للنجاة منه!

إننا لو فكرنا ساعة في موجودات العالم ـ التي نمثل نحن جزءا منها ـ وأدركنا أن أيّ موجود ليس لديه شيءٌ من نفسه، وأن ما وصله ووصل إلى الجميع ألطاف ومواهب مستعارة، وفي الألطاف التي من الله تعالى بها علينا ـ سواء قبل أن نأتي الى الدنيا، أو خلال حياتنا فيها، ومنذ الطفولة إلى آخر العمر، أو بعد الموت ـ بواسطة الهداة الذين كُلِّفوا بهدايتنا، لعل بارقة من حبه جلّ وعلا الذي نحن عنه محجوبون ستلوح في أفق وجودنا، فندرك بعدها مدي ضآلتنا وتفاهتنا، فيفتح بذلك لنا طريقٌ نحوه جل وعلا، وننجو على الأقل من "الكفر الجحودي" ولا نحسب إنكار المعارف الإلهية، والمظاهر الرحمانية مقاماً لنا، ونفاخر به، الأمر الذي سيبقينا أسرى بئر "ويلِ"(٢٠- اسم بئر في جهنم) الأنانية والغرور إلى الأبد.

يُروى "أن الله تعالى خاطب أحد أنبيائه، فطلب إليه أن يأتيه بمخلوق أسوأ منه، فقام النبي عليه السلام بعدها بسحب رفاة حمار قليلا إلا أنه ندم فتركها، فخوطب بالقول: لو أنك أتيتني بتلك الجيفة، لكنت سقطت من مقامك" وأني لا أعرف مدى صحة الحديث، ولكن لعل الأمر بالنسبة لمقام الأولياء، يعد سقوطاً حينما يرون الأفضلية لأنفسهم على غيرهم، فتلك أنانية وغرور. وإلاّ فلِم كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يأسف ذلك الأسف المرير على عدم إيمان المشركين، إلى الحد

الذي خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَـذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾(الكهف/٦). فليس هذا سوى أنه عشق جميع عباد الله، وعِشق الله هو عشق لتجلياته.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم يتألم مما تؤدي إليه الحجب الظلمانية للأنانية والغرور في المنحرفين، من دفعهم إلى الشقاء ثم العذاب الأليم في جهنم نتيجةً لأعمالهم في حين أنه يريد السعادة للجميع. فهو مبعوث لتحقيق السعادة للجميع والمشركون المنحرفون ـ عُمي القلوب ـ وقفوا بوجهه، ونصبوا له العداء رغم أنه جاء لإنقاذهم.

أنا وأنت إذا وُفِّقنا إلى إيجاد بصيص من هذا العشق لتجليات الحق ـ الموجود في أولياء الله ـ في أنفسنا ـ وأردنا الخير للجميع، فقد بلغنا مرتبة من الكمال المطلوب.

اللهم أحيي قلوبنا الميتة من فيض رحمتك، ورحمة صفيك الذي بعثته رحمة للعالمين.

وأهل المعرفة يعلمون بأن الشدة على الكفار ـ وهي من صفات المؤمنين ـ وقتالهم أيضا رحمةٌ، ولطف من الألطاف الخفية للحق، فالعذاب يزداد على الكفار مع كل لحظة تمرُّ عليهم، زيادة كمية وكيفية إلى ما لا نهاية له. لذا فإن قتل من هو ميئوس من صلاحه هو رحمةٌ في صورة غضب، ونعمةٌ في صورة نقمة، بالإضافة إلى أنه رحمة ستنال المجتمع، لأن العضو الذي يجر المجتمع كله إلى الفساد، يُشبه إلى حدٍّ كبير العضو في البدن الذي يؤدي عدم قطعه بالبدن كله الى التلف والهلاك. وهذا هو الذي جعل نوحا يدعو الله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا*إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(نوح/٢٦-٢٧). والله تعالى يقول ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ..﴾(البقرة/١٩٣). وعلى هذا وما سبقه كانت الحدود (٢٤- الحد في الشرع يطلق على الجزاء البدني الذي يجازى به مرتكب بعض المعاصي، وقد حدد الشارع المقدس مقدار هذا الجزاء لكل أمر

بمقدار معين). والتعزيزات (٢٥- التعزيزات في الشرع يطلق على الجزاء الذي أوكل أمر تحديد مقداره للقاضي، فينظر القاضي إلى وضع المجرم ونوع الجرم وظروف ارتكابه، ويحدد مقدار الجزاء بما يتناسب مع ذلك، وقد عين الشارع المقدس الحد الأقصى لهذا الجزاء). والقصاص رحمة من أرحم الراحمين بمرتكب الجرم أولا، وبالمجتمع بأسره ثانيا.

ولنتخطَّ هذه المرحلة.

بني: إذا استطعت ـ بالتفكر والتلقين ـ فاجعل نظرتك إلى جميع الموجودات ـ وخصوصا البشر ـ نظرة رحمة ومحبة. أو ليست الموجودات كافة ـ والتي لا حصر لها ـ واقعة تحت رحمة رب العالمين من جهات عديدة؟ ثم أليس وجود حياتها وجميع بركاتها وآثارها من رحمة الله ومواهبه على الموجودات ؟ وقيد قيل: ″كل موجود مرحوم″ فهل يمكن لموجود ممكن الوجود أن يكون له شيءٌ من نفسه؟ أو أن يستطيع موجود (ممكن الوجود) مثله أن يعطيه شيئاً ما؟ وعليه فإن الرحمة الرحمانية هي الشاملة للعالم بأسره. ثم إن الله الذي هو رب العالمين، وتربيته التي تشمل العالم، أو ليست تربيته مظهراً للرحمة؟ وهل يمكن أن تكون الرحمة والتربية شاملة للعالم دون اقترانها بالعناية والألطاف والمحبة الإلهية ؟ إذن لم لا يكون من شملته العنايات والألطاف والمحبة الإلهية موضعاً لمحبتنا؟ وإذا لم يكن هو الأمر منا، أليس هو نقص فينا؟ أليس هو ضيق أفق وقصر نظر من قبلنا؟.

انتبه يا ولدي؟ لقد أصبحت أنا عجوزا دون أن أتمكن من علاج هذه النقيصة، أو سواها من النقائص التي لا تحصى، وأنت ما زلت شاباً. وأقرب إلى رحمة الحق وملكوته، فاسعَ لإزالة هذه النقيصة. وفقك الله ووفقنا والجميع لرفع هذا الحجاب، والتجلي بما تقتضية فطرة الله.

تعرضت فيما سبق إلى جانب من هذا الأمر، والآن تأتي الإشارة إلى ما يساعدك في رفع هذا الحجاب.

نحن مفطورون على عشق الكمال المطلق، ومن هذا العشق ـ شئنا أم أبينا ـ ينشأ العشق لمطلق الكمال الذي هو من آثار الكمال المطلق، والأمر الملازم لفطرتنا هذه هو السعي للخلاص من النقص المطلق، وتلازمه الرغبة في الخلاص من مطلق النقص أيضا.

إذن، نحن ـ وإن لم نعلم أو ندرك ـ عاشقون لله تعالى، الذي هو الكمال المطلق. ونعشق آثاره التي هي تجليات الكمال المطلق. وأي شخص أو أي شيء نكرهه ونبغضه، أو نحاول التخلص منه، فهو: لا كمال مطلق ولا مطلق الكمال، بل: نقص مطلق أو مطلق النقص الذي يقف في الجهة المقابلة، وعلى النقيض من الأول تماماً. ولا شك أن نقيض الكمال هو عدم الكمال، ولأننا محجوبون، فإننا نضلّ في التشخيص. ولو زال الحجاب لاتّضح لنا أن كل ما هو منه جل وعلا محبوب، وكل ما هو مبغوض فليس منه، وهو بالتالي ليس موجودا.

واعلم أن هناك تساهلاً في التعبيرات الواردة فيما يخص المتقابلات والموضوع أعلاه ـ رغم موافقته للبرهان المتين والرؤية العرفانية والمعرفة ورغم ما ورد في القرآن الكريم من إشارات إليه ـ إلا أن التصديق والإيمان به في غاية الصعوبة، ومنكريه في غاية الكثرة، والمؤمنين به قلة نادرة. وحتى أولئك الذين يعتقدون بثبوت هذه الحقيقة عن طريق البرهان لا يؤمن بها منهم إلا قلة قليلة. فالإيمان بأمثال هذه الحقائق لا يُحرز إلا بالمجاهدة والتفكر والتلقين.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هذا الادعاء (بأن بعض الأمور البرهانية يمكن أن لا تكون موضعا للتصديق والإيمان) عقدةٌ يصعبُ الاقتناع بها، بل لعل البعض قد يقطع بأنه أمر لا أساس له. ولكن ينبغي أن تعلم بأن هذا الأمر أمر وجداني، وقد وردت إشارات إليه في القرآن الكريم، كالآيات الكريم من سورة التكاثر(٢٦- هي السورة ١٠٢ من سور القرآن الكريم، وهي ثمان آيات، وقد وبخ الله فيها الناس لتسابقهم في جمع المال والأولاد، وغفلتهم عن السعادة الحقيقية.).

وأما الوجدان، فأنت تعلم بأن الموتى لا تـصدر عـنهم أيـة حركـة ، وأنهـم لا يستطيعون إلحاق الأذى بك، وأن الموتى لا يعادلون ذبابةً حية واحـدة مـن حيـث الأثر والفعالية، كما تدرك أنهم لا يمكن أن يعودوا إلى الحياة في هذا العـالم بعـد موتهم وقبل يوم النشور، إلا أنك قد لا تمتلك القدرة على النوم وحيداً براحـة فـي المقابر. وهذا ليس إلاّ لأن قلبك لم يصدق بما عندك من علـم، وأن الإيمـان بهـذا الأمر لم يتحصل لديك، في حين أن أولئك الذين يقومون بتغسيل وتكفين المـوتى تحصّل لهم الإيمان واليقين بهذا الأمر نتيجة تكرار العمل، فهم يستطيعون الخلوة مع الموتى براحة بال واطمئنان. كذلك فإن الفلاسفة الذين أثبتوا بالبراهين العقلية أن الله حاضرٌ في كل مكان، دون أن يصل قلوبهم ما أثبتته عقولهم بالبرهان، ولم تؤمن بـه قلوبهم، فإن أدب الحضور لن يتحقق لديهم، فـي حـين أن أولئـك الـذين أيقنـوا بحضور الله بقلوبهم، وآمنت قلوبهم بذلك، فـإنهم ـ رغـم أن لا مـراودة لهـم مـع البراهين ـ فإنهم يتحلّون بأدب الحضور، ويجتنبون كل ما ينافي حـضور المـولى فالعلوم المتعارفة إذن ـ وإن كانت الفلسفة وعلم التوحيد ـ لكنها تعد في حد ذاتها حجبا، وكلما ازدادت تزيد الحجاب غلظة وسمكاً، كذلك فإننا نعلم جميعا ونـرى بأن دعوة الأنبياء عليهم السلام والأولياء الخلص (سلام الله عليهم) ليست من سـنخ الفلسفة والبرهان المتعارف، بل إنهم يهتمون بأرواح وقلوب الناس، ويوصلون نتائج البراهين إلى قلوب العباد، ويبذلون الجهد لهدايتهم من داخل الروح والقلب.

وإن شئت فقل: إن الفلاسفة وأهل البراهين يزيدون الحجب، في حين أن الأنبياء عليهم السلام وأصحاب القلوب يسعون في رفعها. لذا ترى أن من تربّوا على أيدي الأنبياء مؤمنون وعاشقون، في حين أن طلاب علماء الفلسفة أصحاب برهان وقيـلٍ وقال، لا شأن لهم بالقلب والروح.

وليس معنى ما أوردته أن تتجنب الفلسفة والعلوم البرهانية والعقلية، أو أن تشيح بوجهك عن العلوم الاستدلالية، فهذا خيانة للعقل والاستدلال والفلسفة، بل المعنـى

هو أن الفلسفة والاستدلال وسيلة للوصول إلى الهدف الأساسي، فلا ينبغي ـ والحال كذلك ـ أن تحجبك عن المقصد والمقصود والمحبوب.

أو فقل: إن هذه العلوم معبرٌ نحو الهدف وليست الهدف بحد ذاتها، فكما أن الدنيا مزرعة الآخرة، فإن العلوم المتعارفة مزرعةٌ للوصول إلى المقصود، تماماً كما أن العبادات معبرٌ نحو الله جل وعلا، فالصلاة ـ هي أسمى العبادات ـ معراج المؤمن والكل منه وإليه تعالى.

وإن شئت فقل: إن المعروف بجميع أنواعه درجات في سلم الوصول إلى الله تعالى، وجميع المنكرات موانع في طريق الوصول، والعالم بأسره يبحث عنه تعالى، ويحوم كالفراش باحثاً عن جماله الجميل. ويا ليتنا نصحو من نومتنا ونلج أول منزل وهو اليقظة! ويا ليته جل وعلا يأخذ بأيدينا ـ بألطافه وعناياته الخفية ـ فيرشدنا إلى جماله الجميل، ويا ليت فرس النفس الجموح تهدأ قليلا، فتنزل عن مقام الإنكار، ويا ليتنا نُلقي هذا العبء الثقيل من على كواهلنا إلى الأرض، فننطلق مخفّين نحوه تعالى! يا ليتنا نحترق كالفراش حول شمع جماله دون أن نتكلم! ويا ليتنا نخطو خطوة واحدة بقدم الفطرة ولا نبتعد عن طريقها بهذا القدر، و...و.. وآلاف التمنيات والأماني الأخرى التي تزدحم في ذاكرتي، وأنا على شفير الموت في شيخوختي هذه، ولكن دون أن تصل يدي إلى أي مكان.

وأنت يا بني: إستفد من شبابك وعش طوال عمرك بذكر الله ومحبته (جل وعلا)، والرجوع إلى فطرة الله. فذكر المحبوب لا يتنافى مع الفعالية السياسية والاجتماعية في خدمة دينه وعباده، بل إنهُ سيعينك، وأنت تسلك الطريق إليه. ولكن إعلم بأن خدع النفس الأمارة والشيطان الداخلي والخارجي كثيرة، فما أكثر ما تبعد الإنسان عن الله بإسم الله وإسم الخدمة لخلق الله وتسوقه نحو نفسه وآمالها: لذا كانت مراقبة النفس ومحاسبتها في تشخيص طريق الأنانية عن طريق الله من جملة منازل السالكين، وفقنا الله وإياكم لبلوغ ذلك.

وما أكثر ما يخدعنا شيطان النفس ـ نحن الشيّب وأنتم الشبان ـ بوسائل مختلفة، فنحن الشيوخ يواجهنا بسلاح اليأس من الحضور وذكر الحاضر فينادي: لقد فاتكم العمر، وتصرّم وقت الإصلاح ومضت أيام الشباب التي كان ممكنا فيها الإستعداد والإصلاح، ولا قدرة لكم في أيام ضعف الشيخوخة هذه على الإصلاح، فقد استحكمت جذور شجرة الأهواء والمعاصي في جميع أركان وجودكم وتشعّبت فروعها، فأبعدتكم عن اللياقة لمحضره جل وعلا، وضاع كلُّ شيء! فما أحرى أن تستفيدوا من هذه الأيام الباقية من أعماركم أقصى ما يمكن من الاستفادة من الدنيا.

وقد يتصرف معنا أحيانا بنفس الطريقة التي يتصرف بها معكم أيها الشبان، فهو يقول لكم: أنتم شبان، ووقت الشباب هذا هو وقت التمتع والحصول على الذات، فاسعوا الآن بما يساهم في إشباع شهواتكم، ثم توبوا إن شاء الله في أواخر أعماركم فإن باب رحمة الله مفتوح والله أرحم الراحمين، وكلما زادت ذنوبكم، فإن الندم والرغبة في الرجوع إلى الحق سيزداد، وسيكون التوجه إلى الله تعالى أكبر والاتصال به جل وعلا أشد، فما أكثر أولئك الذين تمتعوا في شبابهم، ثم أمضوا آخر أيامهم بالعبادة والذكر والدعاء وزيارة الأئمة عليهم السلام والتوسل بشفاعتهم، فرحلوا عن هذه الدنيا وهم سعداء! تماما هكذا يتصرف معنا نحن الشيوخ، فيأتينا بأمثال هذه الوساوس فيقول لنا: ليس معلوما أن تموتوا بهذه السرعة، بالفرصة ما زالت موجودة وأجلوا التوبة إلى آخر العمر، فضلا عن أن باب شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (٢٧- روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الصلاة معراج المؤمن" الاعتقادات للمجلسي ص ٢٩.) وأهل بيته مفتوح، وإن أمير المؤمنين عليه السلام لن يتخلى عن محبيه ويتركهم يتعذبون، فسوف ترونه عند الموت، وسوف يأخذ بأيديكم. وأمثال هذه الوساوس الكثيرة التي يلقى بها في سمع الإنسان.

بني: أتحدث إليك الآن وأنت ما زلت شاباً، عليك أن تنتبه إلى أن التوبة أسهل على الشبان، كما إن إصلاح النفس وتربيتها يتم بسرعة أكبر عندهم. في حين أن الأهواء النفسانية والسعي للجاه وحب المال والغرور أكثر وأشدّ بكثير لدى الشيوخ

منه لدى الشبان. أرواح الشبان رقيقة شفافة سهلة القياد، وليس لدى الشبان من حب النفس وحب الدنيا بقدر ما لدى الشيوخ. فالشاب يستطيع بسهولة ـ نسبيا ـ أن يتخلص من شر النفس الأمارة بالسوء، ويتوجه نحو المعنويات. وفي جلسات الوعظ والتربية الأخلاقية يتأثر الشبان بدرجة كبيرة لا تحصل لدى الشيوخ فلينتبه الشبان، وليحذروا من الوقوع تحت تأثير الوساوس النفسانية والشيطانية، فالموت قريب من الشبان والشيوخ على حدٍّ سواء وأيّ من الشبان يستطيع الاطمئنان إلى أنه سيبلغ مرحلة الشيخوخة؟ وأيُّ إنسان مصون من حوادث الدهر؟ بل قد يكون الشبان أكثر تعرضا لحوادث الدهر من غيرهم.

بني: لا تضيّع الفرصة من يديك، واسعَ لإصلاح نفسك في مرحلة الشباب.

على الشيوخ أيضاً أن يعلموا أنهم ما داموا في هذا العال، فإنهم يستطيعون جبران ما خسروا وما ضيّعوا، وأن يكفّروا عن معاصيهم، فإن الأمر سيخرج من أيديهم بمجرد انتقالهم من هذا العالم، والتعويل على شفاعة أولياء الله عليهم السلام، والتجرؤ في ارتكاب المعاصي من الخدع الشيطانية الكبرى، تأمّل أنت حالات الذين عوّلوا على شفاعتهم غافلين عن الله ـ وتجرأوا على المعاصي ـ تأمل في سيرتهم، وانظر في أنينهم وبكائهم ودعائهم وتحرقهم واعتبر من ذلك.

يروى أن الإمام الصادق عليه السلام جمع أهل بيته وأقاربه في أواخر عمره وقال لهم: "إنكم ستردون على الله بأعمالكم، فلا تظنوا أن قرابتكم لي ستنفعكم يوم القيامة". وإن كان هناك احتمال بأن تنالهم الشفاعة، لأن الارتباط المعنوي حاصل بينهم وبين الشافع لهم، فالرابطة الإلهية بينهم تجعلهم مؤهلين أكثر من غيرهم لنيل الشفاعة، وإن لم يحصل هذا الأمر لهم في هذا العالم، فلعله يحصل لهم بعد تنقيات وتزكيات أنواع من العذاب البرزخي أو الجهنمي، حتى يصبحوا بعده لائقين للشفاعة، والله العالم بمدى ما سيصيبهم.

فضلاً عن هذا، فإن الآيات التي وردت في القرآن الكريم حول الشفاعة لا تبعث ـ بعد التأمل فيها ـ الاطمئنان في الإنسان، قال تعالى (٢٨- ﴿..مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

عنْدَهُ إلاَّ بإذْنه..﴾(البقرة/٢٥٥)). وقال (٢٩- ﴿..ولاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لمَنْ ارْتَضَى..﴾(الأنبياء/٢٨)). وأمثال ذلك من الآيات التي تثبت موضوع الشفاعة، ولكنها في الوقت نفسه لا تبعث الاطمئنان لدى الإنسان ولا تسمح له بالاغترار بها، لأنها لم توضح من هم أولئك الذين ستكون الشفاعة من نصيبهم، أو ما هي شروطها، ومتى تكون شاملة لهم.

نحن نأمل بالشفاعة، ولكن ينبغي أن يدفعنا هذا الأمل نحو طاعة الحق تعالى، لا نحو معصيته.

بني: إحرص على أن لا تغادر هذا العالم بحقوق الناس (٣٠- حق الناس هو الواجب الذي فرضه الله تعالى على كل مكلف ليقوم به تجاه الآخرين كحفظ كرامة المسلمين وشرفهم وأموالهم وأرواحهم، فحرم عليه إستغابتهم واتهامهم وسرقتهم.) فما أصعب ذلك وما أقساه. واعلم أن التعامل مع أرحم الراحمين أسهل بكثير من التعامل مع الناس. نعوذ بالله تعالى أنا وأنت وجميع المؤمنين من التورط في الاعتداء على حقوق الآخرين، أو التعامل مع الناس المتورطين.

ولا أقصد من هذا دفعك للتساهل بحقوق الله (٣١- حق الله هو الواجب الذي فرضه الله على كل مكلف، لكنه لا يعود على الآخرين كالصلاة والصيام والحج). والتجرؤ على معاصيه، فلو أننا أخذنا بنظر الاعتبار ما يستفاد من ظاهر بعض الآيات الكريمة، فإن البلية ستزداد باطراد، ونجاة أهل المعصية بالشفاعة يتم بعد المرور بمراحل طويلة. فتجسم الأخلاق والأعمال، وما يستتبع ذلك من ملازمتها للإنسان إلى ما بعد الموت وإلى القيامة الكبرى، ثم الى ما بعدها حتى الوصول إلى التنزيه وقطع الروابط بنزول الشدائد والعذاب بمختلف أشكاله في البرزخ وفي جهنم، وعدم التمكن من الارتباط بالشفيع، والاشتمال بالشفاعة، كلها أمور يؤدي التفكير فيها إلى إثقال كاهل الإنسان، ويدفع المؤمنين نحو الجدية في الإصلاح. ولا يمكن لأي شخص أن يدعي أنه يقطع بخلاف هذه الاحتمالات، إلا إذا كان شيطان نفسه قد تسلط عليه بدرجة عالية، حتى راح يتلاعب به، ويصده عن طريق الحق، فيجعله

مُنكراً لا يفرق بين الضوء والظلام، وأمثال هؤلاء من عمي القلوب كثير. حفظنـا الله من شرور أنفسنا.

وصيتي إليك يا بني أن لا تدع الفرصة تضيع مـن يـديك ـ لا سـمح الله ـ وأن تسعى في إصلاح أخلاقك وتصرفاتك وإن كان بتحمل المشقة والترويض، وعليك بالحدّ من التعلق بالدنيا الفانية، وتختار طريق الحق أينما إعترضك مفتـرقٌ للطـرق، وأن تجتنب طريق الباطل، وتطرد شيطان النفس عنك.

كذلك فإن من الأمور الهامة التي ينبغي أن أوصي بها: الحرص على إعانـة عبـاد الله، خصوصا المحرومين والمساكين المظلومين، الذين لا ملاذ لهم في المجتمعات، فابذل ما في وسعك في خدمتهم، فذلك خير زاد، وهو من أفضل الأعمال لـدى الله تعالى، ومن أفضل الخدمات التي تقدم للإسلام العظيم. اسع في خدمة المظلـومين، وفي حمايتهم من المستكبرين والظالمين.

واعلم أن المشاركة في أمور السياسة السليمة والاجتماع، هي تكليف فـي هـذه الحكومة الإسلامية، كـذلك فـإن مـساعدة المـسؤولين والمتـصدين لإدارة أمـور الجمهورية الإسلامية ودعمهم مسؤولية إسلامية وإنسانية ووطنية. وأملي أن لا يغفل الشعب المجيد والواعي عن هذه المسؤولية. وعليهم أن يواصلوا ـ وكما هو شأنهم حتى الآن، إذ كانوا حاضـرين فـي الـساحة دومـاً، حتـى أن الحكومـة الإسـلامية والجمهورية ما استطاعت الاستقرار والبقاء إلا بدعمهم ـ هم أن يواصلوا دورهم هذا في المستقبل أيضاً، وإني مفعم بالأمل أن يواصل الجيل الحاضر والأجيـال القادمـة وقوفهم بوفاءٍ مع الجمهورية الإسلامية ودعمها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ليكونوا سببا في ديمومتها واستقرارها.

وعلينا جميعا أن نعلم بأننا ما دمنا على عهدنا مع الله، فإنـه معنـا، وكمـا قـضى سبحانه وتعالى إلى الآن على مؤامرات المجرمين فـي الـداخل والخـارج وبـشكل إعجازي، فإنه سيُقضى عليها مستقبلا بتأييداته إن شاء الله تعالى.

والأمل أن يكون الجيش وحراس الثورة (٣٢- قوات حرس الثورة الإسلامية هي مؤسسة عسكرية تعمل تحت إمرة سماحه القائد، وتصون الثورة الإسلامية ومكتسباتها، وتسعى على الدوام الى تحقيق الأهداف الإلهية، وبسط حكم الله، وتقوية البنية الدفاعية للجمهورية الإسلامية بالتعاون مع سائر القوى المسلحة، وتدريب وإعداد وتنظيم القوات الشعبية، وهي بالتالي المسؤولة عن حفظ الأمن القومي للجمهورية الإسلامية). وبناء قوات التعبئة الشعبية (٣٣- التعبئة هي قوات عسكرية شعبية تتشكل من المتطوعين الذين اندفعوا إلى جبهات القتال بعد بدء العدوان العراقي على الجمهورية الإسلامية يوم ١٩٨٠/٩/٢٢م وعجز الجيش عن وقف العدوان، فقامت قوات حرس الثورة الإسلامية بتنظيم صفوفها، ومن ثم باستيعاب القوات الشعبية وتدريبها وحشدها على الجبهات. وسميت هذه القوات بـ"التعبئة" ويسمى واحدها (تعبوي) وهم من أغرار صغار إلى شيوخ هرمين، دستور الجمهورية الإسلامية في إيران كلّف الحكومة تأمين الإمكانات لتدريب جميع أبناء الشعب في هذه القوات الى جانب الجيش وحرس الثورة، وذلك طبقا لموازين الإسلام والنظام الإسلامي، ويسعى أبناء الشعب من خلال التحاقهم بهذه القوات أن ينفذوا مقولة الأمام الخميني بتشكيل جيش العشرين مليونا.) وسائر القوات العسكرية والأمنية، وجماهير شبعنا قد تذوقوا حلاوة الاستقلال والخروج من أسر القوة الدولية الكبرى الناهبة، وآمل أن يرجحوا تحررهم من أسر الأجانب على أي شيء وعلى أية حياة مرفهة، وأن لا يقبلوا بحمل عبء عار الارتباط بالقوة الشيطانية على كواهلهم. وأن يقبلوا بالموت المشرّف ـ برجولة وعزة ـ في سبيل الأهداف السامية وفي سبيل الله، إذا أريدت لهم الحياة بذلة. وأن يختاروا السير على طريق الأنبياء العظام وأولياء الله عليهم السلام. وأدعو الله خاضعا معرباً عن عجزي، أن يزيد من وعي وحب والتئام صفوف الرجال والنساء والأطفال والشيوخ من أبناء شعبنا العزيز، وأن يفيض عليهم برحمته، فيقفوا بثبات في طريق الله، وأن ينشروا الإسلام العزيز وأحكامه النورانية في مختلف أنحاء العالم.

بني: لا يفوتني أن أكتب لك بضع جملات حول الأمور الخاصة والعائلية لأختتم بها حديثي المطنب هذا: أشدُّ ما أود أن أوصيك بـه ولـدي العزيـز، هـو الإهتمـام بوالدتك الوفية.

إن الحقوق الكثيرة للأمهات، أكثر من أن تُحصى، أو أن يُؤدى حقها. فليلة واحدة تسهرها الأم مع وليدها تفوق سنوات مـن عمـر الأب المتـدين. فيجـسد العطـف والرحمة في عيونها النورانية بارقةً من رحمة وعطـف رب العـالمين. فـالله تبـارك وتعالى قد أشبع قلوب وأرواح الأمهات بنور رحمة ربوبيته بشكل يعجز عن وصفه الواصفون، ويعجز عن إدراكه سوى الأمهات، وإن رحمة الباري هي التي تجعلهـن يقفن ويتحملن بثبات عجيب المتاعب والآلام منذ اسـتقرار النطـف فـي الأرحـام، وطوال فترة الحمل، وحتى ساعة الولادة. ثم منذ عهد الطفولة، وحتى آخـر العمـر، وهي المتاعب والآلام التي يعجز الآباء عن تحملها ليلة واحدة.

فالتعبير الرقيق الوارد في الحديث الشريف "الجنة تحـت أقـدام الأمهـات"(٣٤- حديث شريف مروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب كنز العمال خ ٤٥٤٣٩). حقيقةٌ تشير إلى عظم دور الأم، وتنبه الأبناء إلى أن السعادة والجنة تحت أقدام الأمهات، فعليهم أن يبحثـوا عـن الجنـة والـسعادة تحـت التـراب المبـارك لأقدامهن، ويعلموا أن حرمتهن تقارب حرمة الله تعـالى، وأن رضـا البـاري جلـت عظمته إنما هو في رضاهن.

إن الأمهات ـ رغم أنهن جميعا مثال لذلك ـ إلا أن بعضهن يتمـتعن بخـصائص أخرى تميزهن عن الأخريات، وقد أدركتُ على مدى عمري، ومن الذكريات التـي أحملها عن والدتك المحترمة، وعن الليالي التي كانت تقضيها مـع أطفالهـا ـ بـل وحتى الأيام ـ أنها تحمل مثل هذه المزايا ـ لذا فإني أوصيك ـ أنت وبقية أبنائي ـ أن تجهدوا بعد وفاتي في خدمتها، وتحرصوا على راحتها ونيل رضاها، وكما أراها راضية عنكم في حياتي. عليكم أن تبذلوا مساعيكم أكثر في خدمتها بعد وفاتي.

وأوصيك يا ولدي أحمد: أن تحرص على معاملة أرحامك وأقربائك وخصوصا أخواتك وأبناء إخوانك بالعطف والمحبة والصفاء والسلام والإيثار، وبمراعاة السلوك الحسن. كما أوصي جميع أبنائي أن يكونوا قلبا واحدا، وأن يتحركوا نحو هدف واحد، وأن يتعاملوا مع بعضهم بالمحبة والعطف، وأن يسعوا جميعا للعمل في سبيل الله، وفي خدمة عباده المحرومين، لأن في ذلك خير وعافية الدنيا والآخرة.

وأوصي نور عيني (حسين) أن لا يغفل عن الانكباب على تحصيل العلوم ا لشرعية. وأن لا يبدد ما أنعم الله عليه من الاستعداد واللياقة وأن يعامل والدته وأخته بمنتهى العطف والصفاء، وأن يستصغر الدنيا، ويسلك في شبابه طريق العبودية المستقيم.

وآخر وصيتي إلى أحمد: أن يُحسن تربية أبنائه، وأن يعرفهم ـ منذ نعومة أظفارهم ـ على الإسلام العزيز، وأن يعتني بأمهم العطوفة، ويحرص على خدمة جميع أفراد العائلة والأقارب.

وسلام الله على جميع الصالحين.

واستميح جميع أقاربي عذرا ـ وبالأخص أبنائي ـ وأرجوهم أن يعفوا عني إن كنت قصّرت معهم، أو ظهر مني قصور ما، أو إن كنت ظلمتهم، وأن يدعو الله أن يغفر لي ويرحمني إنه أرحم الراحمين.

وأدعو الله متضرعاً إليه أن يوفق أرحامي وأقربائي إلى طريق السعادة والإستقامة، وأن يشملهم برحمته الواسعة، وأن يُعزَّ الإسلام والمسلمين، ويقطع أيدي المستكبرين والقوى الظالمة، ويكفها عن الظلم.

والصلاة والسلام على رسول الله، خاتم النبيين وعلى آله المعصومين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين.

الأربعاء ١٩٨٢/٤/٢٨م- رجب ١٤٠٢ هـ

روح الله الموسوي الخميني

بلسـم الـروح

رسالة من والد هرمٍ بال، أفنى عمره بحفنة ألفاظ ومفاهيم وضيع حياته فـي إنـاء الأنا، وهو الآن يُصعد أنفاسه الأخيرة متأسفاً على ماضيه إلـى ولـده الـشاب الـذي يمتلك فرصة ليفكر كعباد الله الصالحين بتحرير نفسه من التعلق بالدنيا التي هي فخ إبليس الخبيث.

بني: كرُّ الدنيا وفرُّها وصعودها وهبوطها (كل ذلك) ينقضي بسرعة، وكلنا نُسحق تحت عجلات الزمن.

ومن خلال ملاحظاتي ومطالعاتي في حال الشرائح المختلفة وصـلتُ إلـى هـذه النتيجة وهي أن الشرائح المقتدرة والثرية آلامها الداخلية والنفسية والروحية أكثر من سائر الشرائح.

إن لهؤلاء آمالا وتمنيات كثيرة لم يحققوها وهي أشد إيلاما بل وتحرق الأكباد.

في هذا الزمان الذي نعيش فيه والدنيا تعاني من القطبين القويين، فإن ألم العذاب الذي يبتلى به رؤساء تلك الدول وألوان القلق المهلكة التي يعيشها كل قطب تجاه القطب الآخر لا يمكن أن يقاس بآلام ومشاكل الشرائح المتوسطة بل وحتى الفقيرة.

تنافس أولئك ليس تنافسا عملياً بناءً بل هو تنافس قاتل يقصم ظهر كـل مـنهم.. وكأن كلاً منهم في مقابل الآخر ذئب مفترس، يقف فاغراً فاه، حـادّ الأسـنان يريـد افتراس الآخر. وعذاب هذا التنافس موجود في جميع الشرائح من الثرية والقوية إلى الطبقات الأخرى.

لكن كلما ذهبنا صعودا (في سلم الثراء والقوة) يـزداد عـذاب التنـافس بـنفس النسبة.

أما ما هو أساس نجاة البشرية واطمئنان القلوب، فهو التحرر والإفلات من الـدنيا وتعلقاتها ولا يحصل ذلك إلا بالذكر الدائم لله تعالى (١- إشارة إلـى قولـه تعـالى (﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد/٢٨)).

أولئك الذي هم بصدد العلو كيفما كان.. سواءً العلو في العلوم، حتى الإلهية منها، أو في القوة والشهرة والثروة إنما يسعون في زيادة آلامهم.

المتحررون من القيود المادية الذين خلّصوا أنفسهم إلى حد ما من شرك إبليس، هم في هذه الدنيا في سعادة وجنة ورحمة.

في تلك الأيام ـ أيام رضا خان البهلوي ـ التي كانت تُمارس فيها ضغوطات مهلكة بهدف تغيير زي الروحانيين وكانت الحوزات العلمية تعيش حمّى ذلك وآلامه (لا قدر الله الرحمن أن تمر مثل تلك الأيام على الحوزات العلمية) رأيت شيخا فاضلا نوعا ما جالسا قرب مخبر يأكل قطعة خبز (دون أدام) يقول: "قالوا لي إنزع عمامتك.. فنزعتها وأعطيتها لشخص يخيط منها قميصين له والآن أكلت خبزي وشبعت.. حتى الليل الله كبير..".

ولدي: إذا قلت أني اشتري هذه الحالة بجميع مقامات الدنيا فصدِّق.. ولكن هيهات خصوصاً من مثلي المبتلى بشراك إبليس والنفس الخبيثة.

بني: أما أنا فقد فاتتني القافلة "يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل".

لكن أنت لديك نعمة الشباب وقدرة الإرادة.. فالمؤمل أن تستطيع سلوك طريق الصالحين..

ولا يعني ما ذكرت أن تترك خدمة المجتمع وتعتزل وتكون كَلاًّ على خلق الله فإن هذه صفات الجاهلين المتنسِّكين أو الدراويش أرباب الدكاكين.

سيرة الأنبياء العظام (صلى الله على نبيِّنا وعليهم أجمعين) والأئمة الأطهار (عليهم السلام)

الذين هم صفوة العارفين بالله والمتحررين من كل قيد وغلّ والمتعلقين بالساحة الإلهية. هي القيام بكل قوة ضد الحكومات الطاغوتية فراعنة الزمان.. وقد تجرعوا كؤوس الآلام من أجل إجراء العدالة في العالم وبذلوا الجهود.. التي تلقننا الدروس.. وإذا كانت لنا عين بصيرة وأذن سميعة فسنجد فيها ما يفتح أمامنا الطريق.. "من

أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم"(٢- أصول الكافي - كتاب الإيمـان والكفر باب الاهتمام بأمور المسلمين حديث ١،٤ باختلاف يسير.).

بني: لا الإعتزال الصوفي دليل الإرتباط بالحق، ولا الدخول في المجتمع وتشكيل الحكومة شاهد الإنفصال عن الحق، الميزان في الأعمال هو دوافعهـا (٣- مـضمون روايات متعددة حول أهمية النية مثل الرواية المعروفة "إنما الأعمـال بالنيـات" و"لا عمل إلا بنية" و"كل عامل يعمل على نيته" تراجع روايات بـاب النيـة فـي أصـول الكافي كتاب الإيمان والكفر.).

فكثيراً ما يكون العابد والزاهد مبتلىً بشَرَك إبليس وهو يوسع ذلك الـشَّرَك بمـا يناسبه من الأنانية والغرور والعجب والتكبر وتحقير خلق الله والشرك الخفي وأمثال ذلك مما يبعده عن الحق ويؤدي به إلى الشِّرك..

وكثيراً ما يكون المتصدي لشؤون الحكومة ذا دافعٍ إلهي فيحظـى بمعـدن قـرب الحق كداود النبي وسليمان النبي عليهما السلام. وأعلى منهما وأسمى كالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته بالحق علـى بـن أبـي طالـب عليـه الـسلام، وكحضرة المهدي أرواحنا لمقدمه الفداء في عصر حكومته العالمية.

إذاً، ميزان العرفان والحرمان هو الدافع، كلما كانت الدوافع أقرب إلى نور الفطرة. وأكثر تحرراً من الحجب حتى حجب النور(٤- إشـارة إلـى فقـرة مـن المناجـاة الشعبانية "وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلـوب حجـب النور" بحار الأنوار ج٩٧/٩١.)، تكون أكثر ارتباطا بمبدأ النـور إلـى حيـث يـصبح الكلام عن الإرتباط كفراً.

بني: لا تلق عن كاهلك حمل المسؤولية الإنسانية التي هي خدمة الحق في صورة خدمة الخلق.. فإن جولات الشيطان وصولاته في هـذا الميـدان ليـست بأقـل مـن جولاته وصولاته بين المسؤولين والمتصدين للأمـور (العامـة). ولا تتعـب نفـسك للحصول على مقام مهما كان ـ سواء المقام المعنوي أم المادي ـ متذرعاً بأني أريد أن أقترب من المعارف الإلهية أكثر.. أو أني أريد أن أخدم عباد الله. فإن التوجه

إلى ذلك من الشيطان.. فضلا عن بذل الجهد للحصول عليه. الموعظة الإلهية الفريدة، إسمعها بالقلب والروح، واقبلها بكل قوتك وسر في خطها. (﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى..﴾(سبأ/٤٦)).

الميزان في أول السير هو القيام لله، إنْ في الأعمال الشخصية والفردية أو في النشاطات الاجتماعية.

اسعَ أن تكون موفقا في هذه الخطوة الأولى.. فإن ذلك في أيام الشباب أسهل وإمكانية التوفيق فيه أكثر.

لا تفعل مثل أبيك.. تهرم فتبقى تراوح مكانك أو تتراجع وهذا يحتاج إلى المراقبة والمحاسبة.

إذا تيسر لإنسان ما ـ بدافع إلهي ـ مُلك الجن والإنس، بل إذا حصل عليه، فهو عارف بالله وزاهد في الدنيا..

وإذا كان الدافع نفسانيا وشيطانيا، فكل ما حصل عليه حتى إذا كان سبحة فقد ابتعد بهذا المقدار عن الله تعالى.

بني: طالع سورة الحشر المباركة فإن فيها خزائن من المعارف والتربية، وتستحق أن يمضي الإنسان عمرا يفكّر فيه، ويتزود ـ بالمدد الإلهي ـ منها (أنواعا من الزاد) خصوصا آياتها الأواخر حيث يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(الحشر/١٨)... إلى آخر السورة.

في هذه الآية الصغيرة لفظاً، الكبيرة جدا من حيث المعنى، احتمالات بنَّاءة منبِّهة يشار إلى بعضها:

١ ـ يمكن أن تكون خطابا للأشخاص الذين حصلوا على مرتبة الإيمان الأولى، مثل إيمان العامة.

وبناءً على هذا الإحتمال، يكون الأمر بالتقوى في أولى مراتبها التي هي التقوى العامة، وهي الحذر من مخالفة الأحكام الإلهية الظاهرية.

وهي كذلك مرتبطة بالأعمال القالبية، وبحسب هذا الإحتمال تكون جملة ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تحذيرا من عواقب أعمالنا، وشاهدا على أن الأعمال التي نعملها تأتي نفسها بالصورة المناسبة في النشأة الأخرى.. وستلحق بنا..

وقد وردت آيات وروايات كثيرة حول هذا (٦- من الآيات والروايات الدالة على أن للأعمال صوراً غيبية وأنها تلحق صاحبها الذي عملها وتلازمه في عالم ما بعد الموت: ﴿..وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا..﴾(الكهف/٤٩). ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا..﴾(آل عمران/٣٠). ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى*وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾(النجم/٣١-٤٠). ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ*فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ*وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة/٦-٨). وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مطلّ عليه ويتنحى الصبر ناحية فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: "دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه" الكافي/كتاب الإيمان والكفر- الصبر.

وروي عنه عليه السلام: إذا وضع الميت في قبره مُثِّل له شخص فقال له: "يا هذا كنا ثلاثة كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك، وكان أهلك فخلفوك وانصرفوا عنك وكنت عملك فبقيت معك أما إني كنت أهون الثلاثة عليك" بحار الأنوار٦/٢٦٥)..

التفكير في هذا الأمر يكفي القلوب المتيقظة، بل يوقظ القلوب المؤهلة، وقد يكون مدخلا يسهل الطريق إلى المراتب الأخرى..

والظاهر أن الأمر بالتقوى مكرراً، فيه تأكيدٌ، رغم أن هناك احتمالا آخر.

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أيضا تحذير جديد من أن أعمالكم ليست مخفية عن محضر الحق فإن جميع العالم محضر الحق..

٢ ـ بمكن أن تكون (الآية) خطابا للأشخاص الذين أوصلوا الإيمان إلى قلوبهم، فكثيرا ما يكون الإنسان بحسب الظاهر مؤمنا معتقدا بالشهادتين لكن قلبه لا علم له بذلك، يكون عالما معتقدا بالأصول الخمسة إلا أن هذا العلم لم يصل إلى قلبه..

ولعل غير خواص المؤمنين هم جميعا كذلك..

المعاصي التي تصدر من بعض المؤمنين منشؤها هو هذا.. إذا كان القلب مطلعا على يوم الجزاء والعقاب الكذائي (المرعب) وقد آمن بذلك، فإن صدور المعصية والتمرد منه بعيد جدا..

الشخص الذي آمن قلبه بعدم وجود إله إلاّ الله لن يميل إلى غير الحق تعالى ومدح الآخرين، ولن يخاف ويحذر غيره..

بني: أحياناً أرى أنك تظهر الإنزعاج والقلق من التهم المؤلمة وترويج الشائعات الكاذبة..

أولاً: يجب أن أقول لك.. ما دمت حياً وتتحرك ويراك الآخرون منشأ تأثير فإن الإنتقاد والتهمة واختلاق الشائعات ضدك أمور لا يمكن اجتنابها..

العُقد كثيرة.. والتوقعات المتزايدة وألوان الحسد كثيرة..

من كان له دور فاعل حتى إذا كان لله مائة بالمئة فلن يمكنه أن يكون بعيداً عن تجريح أصحاب الأهواء السيئة.

أنا شخصياً أعرف عالماً جليلا تقيا، لم يكن يقال عنه طيلة الفترة التي سبقت وصوله إلى رئاسة جزئية إلا الخير ـ نوعاً ما ـ وتقريباً كان مقبولاً عند أهل العلم وغيرهم.

بمجرد أن توجهت النفوس إليه وحصل على مكانة دنيوية، ولو أنها لا تكاد تذكر بالنسبة إلى مقامه (المعنوي)، أصبح مورداً للتهمة والأذى وأنواع الحسد وغلت (مراجل) العقد ضده، وظل حاله كذلك طيلة الفترة التي أمضاها على قيد الحياة..

وثانياً: يجب أن تعلم أن الإيمان بوحدة الإله ووحدة المعبود ووحدة المؤثر لم يصل ـ كما ينبغي ـ إلى قلبك..

إبذل الجهد لتصل كلمة التوحيد ـ التي هي أعظم كلمة وأسمى جملة ـ من عقلك إلى قلبك.. فإن حظ العقل هو ذلك الإعتقاد البرهاني الجازم.. وإذا لم يصل

حاصل هذا البرهان بالمجاهدة والتلقين إلى القلب فإن فائدته وأثره لا يكادان يذكران..

كثيراً ما يكون بعض هؤلاء، أصحاب البرهان العقلي والاستدلال الفلسفي أكثر من غيرهم في شَرَك إبليس والنفس الخبيثة "أرجُل الاستدلاليين خشبية" (٧- *ترجمة صدر بيت لمثنوي وترجمة عجزه: والأرجل الخشبية لا يقر لها قرار.). ولا تتبدل هذه الخطوة البرهانية والعقلية بخطوة روحانية وإيمانية إلا عندما تصل من أفق العقل إلى مقام القلب ويقبل القلب ما أثبته الإستدلال العقلي..

بني: عليك بالمجاهدة لتودع القلب عند الله، ولا ترى مؤثراً غيره.. أوليس عامة المسلمين المتعبدين يصلون في اليوم والليلة عدة مرات والصلاة زاخرة بالتوحيد والمعارف الإلهية ويقولون عدة مرات في اليوم والليلة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة/٥). ويتلفظون أن العبادة والإعانة مختصتان بالله..

إلاّ أنهم يتذللون ويتزلفون لكل عالم وقوي وثري، إلاّ المؤمنون بحق وخواص الحق سبحانه.

وأحياناً يأتون بأكثر مما يأتون به للمعبود.. ويستمدون العون من كل شخص ويتمسكون بكل قشة من أجل آمالهم الشيطانية وهم غافلون عن قدرة الحق..

بناءً على هذا الإحتمال: أن يكون مورد الخطاب متوجهاً إلى الأشخاص الذين وصل الإيمان إلى قلوبهم، فإن أمر هؤلاء بالتقوى له فروق عن الإحتمال الأول..

هذه التقوى ليست التقوى عن الأعمال غير اللائقة. إنها التقوى عن التوجه إلى غيره.. تقوى عن الاستمداد من غير الحق والعبودية لغيره..

تقوى عن فسح المجال لغيره جلّ وعلا إلى القلب، تقوى عن الإتكال والإعتماد على غيره..

هذا الذي ترى أننا ـ نحن وأمثالنا ـ مبتلون به، ويؤدي إلى خوفي وخوفك من الشائعات ونشر الأكاذيب والخوف من الموت والتحرر من الطبيعة وإزالة الخرقة هو من هذا القبيل الذي يجب الإتقاء منه..

وفي هذه الصورة فإن المراد من ﴿..وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَـدٍ..﴾(الحـشر/١٨) الأفعال القلبية التي لها في الملكوت صورة، وفوق ذلك أيـضاً صـورة.. والله خبيـر بخطرات قلوب الجميع..

وهذا لا يعني أن يترك الإنسان الفعالية ويهمل تربية نفسه، ويجتنب كل شـخص وكل شيء ويختار العزلة.. على خلاف السنة الإلهيـة والـسيرة العمليـة لحـضرات الأنبياء العظام والأولياء الكرام..

هم عليه صلوات الله وسلامه.. بذلوا في سبيل الأهداف الإلهيـة والإنـسانية كـل الجهود اللازمة.. ولكن لا على شاكلتنا نحن عميَ القلوب الذين ننظر إلى الأسـباب على نحو الاستقلال..

بل كانوا يعتبرون كل شيء في هذا المجال ـ وهو من مقاماتهم العادية ـ منه جل وعلا..

وكانوا يرون الإستعانة بكل شيء استعانة بالمبدأ.. وأحـد الفـوارق بيـنهم وبـين الآخرين هو هذا.. أنا وأنت وأمثالنا ننظر إلى الخلق والإستعانة بهم غافلين عن الحق تعالى..

وهم كانوا يرون الاستعانة به في الواقع، حتى إذا كانـت فـي صـورة الإسـتعانة بالأدوات والأسباب وكانوا يرون الحوادث منه رغم أن الأمر في الظاهر عند أمثالنـا غير ذلك..

ومن هنا فإن الحوادث مهما كانت منغصة فإنها كانت عندهم هنيئة..

بني: هناك أمر يثلج أفئدتنا نحن المتخلفين عن "قافلة الأبرار" وهو ـ في مـا أرى ـ قد يكون دخيلاً في بناء من يكون بصدد بناء نفسه..

يجب أن ننتبه إلى أن منـشأ فرحنـا بالمـدح والثنـاء واسـتيائنا مـن الإنتقـادات والشائعات هو حب النفس الذي هو أخطر شراك إبليس اللعين..

نحن نميل أن يكون الآخرون مداحين لنا.. حتى ولـو صـوَّروا أفعالنـا العاديـة، وحسناتنا المتخلية أكبر من حجمها بمئات المرات..

ونحب أن تكون أبواب انتقادنا ـ ولو بحق ـ موصدة أو يتحول انتقادنا إلى مديح. نتزعج من الحديث عن معايبنا لا لأنها ليست حقا، ونفرح بالمدح والثناء لا لأنه حق بل لأنه "عيبي أنا" و"مدحي أنا".

إذا صدر منك أمر ما، وصدر عين ذلك الأمر أو أفضل منه وأسمى من شخص آخر، خصوصاً أولئك الذين هم زملاؤك، وانبري المداحون لمدحه سيكون ذلك مزعجا لك..

وأدهى من ذلك إذا حولوا عيوبه مدائح. في مثل هذه الصورة، تيقَّن أن يد الشيطان والنفس الأسوأ منه هي السبب.

بني: ما أحسن أن تلقِّن نفسك وتقنعها حقيقة واحدة وهي أن مدح المداحين وإطراء المطرين غالباً ما يهلك الإنسان ويجعله بعيداً عن التهذيب وأشدَّ بعداً..

التأثير السيىء للثناء الجميل في نفوسنا الملوثة أساس تعاساتنا والإلقاء بنا نحن ضعفاء النفوس بعيدا عن المحضر المقدس للحق جل وعلا..

ولعل الباحثين عن عيوبنا والمروجين للشائعات ضدنا مفيدون لعلاج معايبنا النفسية ـ وهو كذلك ـ كالعملية الجراحية المؤلمة المفيدة للمريض..

أولئك الذين يبعدوننا بمدائحهم عن جوار الحق أصدقاء يعبّرون عن عداوتهم بصورة صداقة..

وأولئك الذين يظنون أنهم يعبّرون عن عداوتهم لنا بالذم والفحش واختلاق الإشاعات هم أعداء يصلحوننا ـ إذا كنا أهلاً لذلك ـ إنهم يعبّرون عن صداقتهم لنا بصورة عداوة..

أنا وأنت إذا اقتنعنا بهذه الحقيقة وتركنا الحيل الشيطانية والنفسية نرى الواقعيات كما هي.. عندها سنضطرب من مدح المداحين وثناء أهل الثناء كما نضطرب اليوم من ذم الأعداء وشائعات المغرضين..

وسنتفاعل مع الذم ونتلقاه كما نتفاعل اليوم مع المدائح والإطراءات ونتلقاها..

إذا وصل إلى قلبك مما ذكر، لـن تتـألم مـن المنغـصات واخـتلاق الأكاذيـب وستحصل على اطمئنان القلب.. فإن أكثر المنغصات من الأنانية..

رحمنا لله جميعا بالنجاة منها..

٣ ـ الإحتمال الآخر أن الخطاب لأصحاب الإيمان مـن خـواص أهـل المعرفـة والمولعين بمقام الربوبية عاشقي الجمال الجميل الذي يرون بعـين القلـب ومعرفـة الباطن جميع الموجودات مظهر الحق، ويرون نور الله في جميع المرائـي وأدركـوا (الآية) الكريمة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾(النـور/٣٥) بالمـشاهدة المعنويـة والسير القلبي.. رزقنا الله وإياكم..

بناء على هذا الإحتمال، فإن للأمر بالتقوى لهذه الطائفة من العـشاق والخـواص فروقاً عن الأمر بها للآخرين..

من الممكن أن تكون التقوى عن رؤية الكثرة وشهود المرائي والرائي، تقوى عن التوجه إلى الغير حتى إذا كان في صورة التوجه إلى الحق من الخلق، تقوى عن "ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله ومعه وبعده"(٨- الروايـة فـي علـم اليقـين ج١٤٩/١ باختلاف يسير.) الذي هو المقام العادي لخلص الأولياء فإن لـ"شيء" هنا دخلاً في الحديث..

تقوى عن مشاهدة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾.

تقوى عن مشاهدة ﴿هو معكـم﴾ و ﴿وَجَّهْـتُ وَجْهِـيَ لِلَّـذِي فَطَـرَ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(الأنعام/٧٩).

تقوى عن مظهر جمال الحق في الشجرة.

ومن هذا القبيل ما يرتبط برؤية الحق في الخلق..

وعلى هذا المنوال يكون المراد من الأمر بالنظر في ما قدمناه لغد تلك الحـالات: مشاهدة الحق في الخلق والوحدة في الكثرة التي لها صورها المناسبة فـي العـوالم الأخرى..

٤ ـ الاحتمال أن الخطاب لأولئك الخلَّص من الأولياء الـذين تجـاوزوا مرحلـة رؤية الحق في الخلق وجمال حضرة الوحدة في الكثرة الفعلية ولا أثر لغبار الخلـق في مرآة مشاهداتهم وتخلصوا من الشِّرك الخفي في هذه المرحلة. إلا أنهم أسـلموا القلب لتجليات أسماء الحق وأصبحوا العشاق المتيمين لحضرة الأسماء، وتجليـاهم الأسمائية فانية من الغير ولا يشاهدون شيئاً غير جلوات (مظاهر) الأسماء..

بناءً على هذا يكون الأمر بالتقوى تقوى عن رؤية الكثرات الأسمائية والجلـوات الرحمانية والرحيمية وسائر أسماء الله..

كأن صوتاً يضج في مسامعهم أنه من الأزل إلـى الأبـد لـيس هنـاك إلا جلـوة واحدة..

وتفسِّر جميع الفقرات بما يناسب هذا.. وأنهم إذا تجاوزوا هذا فليس بعده شاهد ومشاهدة وشهود.. وليس إلاَّ الفناء في "هو المطلق" و"لا هو إلا هو"..

٥ ـ أشمل الإحتمالات أن كل لفظ مثل "آمنوا" و "اتقوا" و"انظروا" و"ما قـدمت" وهكذا.. يحمل على معناه المطلق وكل مراتبه حقائق فإن الألفاظ موضوعة للمعاني بدون قيد ومطلقة من الحدود..

وإذا كان ثمة من احتمالات أخرى فهي تندرج في هذا الاحتمال ومن مراتبه..

بناء على هذا تشمل (الآية) كل فئة وطائفة من المؤمنين بالمعنى الحقيقي وتكون (جميع الفئات والأقسام) مصاديق للعنوان المطلق.

وهذا المطلب يفتح طريق فهم كثير من الأخبار التي تطبق الآيـات علـى فئـة أو شخص فيتوهم الاختصاص وليس كذلك بل هو ذكر المصداق أو المصاديق..

وبهذا المنوال الذي ذكر من الاحتمالات يفـتح الطريـق ـ أيـضاً ـ لفهـم الآيـة المباركـة ﴿وَلاَ تَكُونُـوا كَالَّـذِينَ نَـسُوا اللَّـهَ فَأَنْـسَاهُمْ أَنْفُـسَهُمْ أُوْلَئِـكَ هُـمْ الْفَاسِقُونَ﴾(الحشر/١٩) التي هي بعد الآية المتقدمة.

وحسب الإحتمالات المتقدمة، في هذه الآية الشريفة أيضا احتمالات متناسبة مع تلك الإحتمالات مختلفة المراتب ومتحدة الحقيقة.. لا مجال لتفصيلها.. وأكتفي فقط

بذكر نكتة واحدة وهي أن نسيان الحق موجب لنسيان النفس سواء "النسيان" بمعنى عدم التذكر أو بمعنى الترك..

وفي كل من المعنيين إنذار عاصف..

إن لازم نسيان الحق تعالى أن ينسى الإنسان نفسه أو فقل يجره الحق تعالى إلى نسيان نفسه وهو أمر صادق في جميع المراحل السابقة.

في مرحلة العمل، فإن الذي ينسى الله وحضوره جل وعلا يبتلى بنسيان ذات نفسه أو يجر إلى ذلك.

ينسى عبوديته فيجر من مقام العبودية. ومن لا يعرف ما هو ومن هو وما هي وظيفته والعاقبة، يحل الشيطان فيه ويجلس بدلاً من ذاته، والشيطان عامل عصيان وطغيان..

وإذا لم يثب إلى رشده ويرجع إلى ذكر الحق وانتقل من هذا العالم على هذه الحال من الطغيان والعصيان فقد يظهر (في ذلك العالم) على شكل شيطان مطرود من الحق تعالى.

وبالمعنى الآخر الذي هو بمعنى الترك.. الأمر أشد إيلاماً لأنه إذا كان ترك إطاعة الحق وترك الحق موجبا أن يتركه الحق (٩- *المراد والله العالم أن النسيان إذا كان بمعنى عدم التذكر فإن من ينسى الله ولا يتذكره ينسيه الله تعالى نفسه فلا يعود يتذكرها وهذا لا يدل على أن العنايات الإلهية تنقطع عنه حتماً.. فقد تشمله عنايةٌ ما رغم أن الله أنساه نفسه فهو سبحانه لم يتركه وإنما أنساه نفسه.. أما إذا اعتبرنا النسيان بمعنى الترك فإن الآية بمعنى قوله تعالى ﴿..نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ..﴾(التوبة/٦٧) أي تركوا الله فتركهم وترك الله تعالى للإنسان أشد من حمله له على نسيان نفسه.. إنه بمعنى الخذلان خذلانه وإيكاله إلى نفسه.. ومن هنا كان الأمر أشدّ إيلاماً.) ويكله إلى نفسه ويقطع عنه عناياته فلاشك في أنه ينتهي إلى خذلان الدنيا والآخرة (١٠- ورد في الأدعية المروية عن الموالي الكرام عليهم السلام "لا تكلني إلى نفسي" و "ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا" أصول الكافي كتاب الدعاء -باب

القول عند الإصباح والإمساء حديث١٠ وباب الدعاء للكرب والهم حديث٢٠ وباب دعوات موجزات لجميع الحوائج حديث١٥. ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في أحد الأدعية: "وانظر في جميع أموري فإنك إن وكلتني إلى نفسي عجزت عنها ولم أقم ما فيه مصلحتها" الصحيفة السجادية الدعاء٢٢. ويقول عليه السلام في دعاء آخر: ولا تكلني إلى حولي وقوتي. الصحيفة السجادية - الدعاء ٤٧).

في الأدعية الشريفة للمعصومين نجد أنه تم التأكيد على الدعاء كي لا يكلنا الله إلى نفوسنا، لأنهم عليهم السلام كانوا يعلمون نتائج هذه المصيبة ونحن غافلون عنها..

بني: الذنوب.. حتى إذا كانت صغيرة بنظرك، لا تستخف بها "انظر إلى من عصيت" وبهذا المنظار كل الذنوب عظيمة وكبيرة.. لا تغتر بأي شيء، ولا تغتر بالله تبارك وتعالى الذي كل شيء منه وإذا انقطعت عنايته الرحمانية عن موجودات جميع أرجاء عالم الوجود لحظة لن يبقى أثر حتى من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين. لأن كل العالم مظهر رحمانيته جل وعلا..

ورحمته الرحمانية جل وعلا هي على نحو الإستمرار ـ مع قصور اللفظ والتعبير ـ مبقية لنظام الوجود و"لا تكرار في تجليه جل وعلا".

وأحياناً يعبر عنها ببسط الفيض وقبضه على سبيل الإستمرار..

على أي حال.. لا تنس حضوره ولا تغتر برحمته. كما يجب أن لا تيأس ولا تغتر بشفاعة الشافعين عليهم السلام فإن لذلك كله موازين إلهية ونحن لا نعرفها (١١- * أي أن الشفاعة حق ولكن ما الدليل لأحدنا على أن الموازين الإلهية التي تقوم الشفاعة وفقها تنطبق عليه حتما حتى يغتر بشفاعة الشافعين عليهم السلام.. وهذا يعنى أن يعيش أحدنا ـ في مسألة الشفاعة ـ بين الخوف والرجاء، الخوف من عدم انطباق موازينها الإلهية عليه والرجاء بشمول الشفاعة له وانطباق موازينها عليه.. وهذا غير الركون الحتمي إليها والاغترار بها..).

إجعل التأمل في أدعية المعصومين عليهم السلام وتحرُّقهم وتفَجُّعهم خوفاً من الحق والعذاب عنوان أفكارك وسلوكك.

الأهواء النفسانية، وشيطان النفس الأمّارة يدخلاننا في الغرور ويجراننا ـ من هذا الطريق ـ إلى الهلاك..

بني: لا تسعَ أبداً أثر تحصيل الدنيا حتى الحلال منها. فإن حب الدنيا حتى حلالها رأس جميع الخطايا (١٢- مضمون رواية عن الإمام السجاد عليه السلام "حب الدنيا رأس كل خطيئة" ورواية عن الإمام الصادق عليه السلم: "رأس كل خطيئة حب الدنيا" أصول الكافي كتاب الإيمان والكفر باب ذم الدنيا والزهد فيها حديث ١١ وباب حب الدنيا والحرص عليها حديث١.) لأنها حجاب كبير وتجر الإنسان مرغما إلى الدنيا الحرام.

أنت شاب وتستطيع بقوة الشباب التي أعطاك الحق أن تبتر أول خطوة انحراف ولا تدعها تنجر إلى خطوات أخرى.. لكل خطوة خطوة تتبعها، وكل ذنب ـ حتى إذا كان صغيراً ـ يجر الإنسان إلى ذنوب كبيرة وأكبر بحيث تصبح الذنوب الكبيرة في نظر الإنسان ليست شيئا يذكر..

بل أحياناً يفتخر الأشخاص على بعضهم بارتكاب بعض الكبائر وأحياناً ـ بواسطة شدة الظلمات والحجب الدنيوية ـ يصبح المنكر معروفا والمعروف منكراً..

أنا أسأل الله تعالى جل اسمه أن ينير عين قلبك بجماله الجميل ويرفع الحُجب من أمام عينيك وينجيك من القيود الشيطانية والإنسانية حتى لا تتأسف مثل أبيك ـ بعد تصرم أيام الشباب وحلول الكهولة ـ على ماضيك، وتربط قلبك بالحق حتى لا تستوحش من أي حادث وتحرر قلبك من الآخرين لتحرر نفسك من الشرك الخفي والأخفى..

بعد هذه الآيات إلى آخر السورة مسائل شيقة جداً لا حال لي ولا مجال لأتحدث حولها..

اللهم اجعل أحمد عندك محموداً، وافطم فاطمة عـن الـذنوب واجعـل حـسن أحسن ويسِّر أمر ياسر وربِّ هذه العائلة المنتسبة إلى أهل بيت العـصمة بعناياتـك الخاصة واحفظها من شر شياطين الداخل والخارج ومُنَّ عليهم بسعادة الدارين.

وآخر وصيتي هي:

إبذل جهدك في خدمة الأرحام خصوصاً أمك التي لها علينا حقوقاً واحصل على رضاهم.

والحمد الله أولاً وآخراً والصلاة علـى رسـول الله وآلـه الأطهـار واللعـن علـى أعدائهم.

بتاريخ ١٧ شوال ١٤٠٤ (هـ ق)

روح الله الموسوي الخمينى

هــدية غيــبية

بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي كتاب "آداب الصلاة" (١- هذا الكتاب ألفه الإمـام الخمينـي (س) عـام (١٢٦١هـ/١٩٤٢م) بعد كتاب سر الـصلاة، وهـو شـرح لآداب الـصلاة وأسـرارها المعنوية، وهو غني بالفوائد الأخلاقية والعرفانية.) ـ الذي لم أجنِ منه سوى الأسف على القصور والتقصير في ما خلا من الأيام التي كنت قادراً فيها على بنـاء الـنفس، وسوى الحسرة والندامة في مرحلة الشيخوخة حيـث يـدي خاليـة وحملـي ثقيـل والسفر بعيد والبلاء شديد ونداء الرحيل يتردد فـي سـمعي ـ إلـى ولـدي العزيـز "أحمد" لعله، إن شاء الله ينتفع ـ وهو يتمتع بقوة الشباب ـ بمحتـواه، جمعتـه مـن كتاب الله والسنّة المطهرة وما أُثر عن الأولياء العظام فيرقى ـ مستفيداً من إرشادات أهل المعرفة ـ المعراج الحقيقي، ويستنقذ قلبه من هذه الظلمة، ويوفق لبلوغ مقصد الإنسانية الأصلي الذي سلكه أنبياء الله العظام وأولياؤه الكرام صـلوات الله وسـلامه عليهم، وأهل الله ودعوا الآخرين إليه.

بني: اسع للعثور على نفسك المعجونة بفطرة الله، واستنقذها من مستنقع الـضلالة وأمواج العجب والأنانية، واركب "سفينة نوح" التي هي "ولاية الله" "فإن مـن ركبهـا نجا من وتخلف عنها هلك" (٢- جزء من حديث شريف مروي عن الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم في مستدرك الصحيحين ج٢ ص ٣٤٣.).

بني: إجهد أن يكون سيرك في "الصراط المستقيم". صـراط الله وإن كـان ذلـك بخطى وئيدة بطيئة، واسعَ أن تكون حركات قلبك وسكناته وسـائر جوارحـك فـي إطار التسامي والارتباط بالله، واحرص على السعي في خدمة الخلق لأنهم خلق الله، فرغم أن أنبياء الله العظام والخواص من أوليائـه تعـالى كـانوا يمارسـون الأعمـال كالآخرين، فإنهم لم يتعلقوا بالدنيا قط وذلك لأن شغلهم كان بالحق وللحق، إلا أنه رُوي عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "إنه ليغان على قلبـي وإنـي

لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة" (٢- رواية عن الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه وسلم في كتـاب مـستدرك الوسـائل، كتـاب الـصلاة، أبـواب الـذكر، البـاب٢٢ الحديث١.) ولعله كان يرى أن رؤية الحق في الكثرة كُدورة.

بني: تهيأ بعدي لمواجهة مختلف مشاعر الجفاء والضغائن التي أكنّتهـا الـصدور مني، فسوف تنعكس عليك، وإذا كان حسابك مع ربك سليما، وتحصّنت بذكر الله؛ فإنك لن تخشى الخلق. فأمر الخلق وحسابهم هينٌ سريع الانقـضاء، والأزلـي هـو الحساب أمام الحق تعالى.

بني: قد تُعرضُ عليك بعدي المناصـب، فـإن كانـت نيتـك خدمـة الجمهوريـة الإسلامية والإسلام العزيز فلا ترفض، ولكن إذا كانت نيتك ـ لا قدر الله ـــ إطاعـة هوى النفس وإرضاء الشهوات، فاجتنب القبول إذا لا قيمـة للمقامـات والمناصـب الدنيوية كي تضيع نفسك من أجلها.

اللهم مُنَّ على (أحمد) وذريته وأهل بيته ـ وهم عبادك ومن نسل رسولك الأكرم صلواتك عليه وعلى آله ـ بالسعادة في الدنيا والآخرة، إحفظهم مـن شـر الـشيطان الرجيم ـ اللّهم خذ بأيدينا نحن الضعفاء العاجزين المتخلّفين عن قافلة السالكين ـ اللهم عاملنا بفضلك، ولا تعاملنا بعدلك.

والسلام على عباد الله الصالحين

٢٣ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ

روح الله الموسوي الخميني

محضر الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وصية من أب هَرِمٍ قضى عمراً بالبطالة والجهالة، وهو الآن سائرٌ إلى العالم السرمدي بكف خالية من الحسنات، وصحيفة سوَّدتها السيئات، يحدوه الأمل بمغفرة الله والرجاء بعفوه..

إلى إبنٍ شاب تتجاذبه مشاكل الزمان، وهو مخير بين انتخاب الصراط الإلهي المستقيم (هداه الله إليه بلطفه المطلق) وبن اختيار الطريق الآخر ـ لا سمح الله ـ حفظه الله من مزالقه برحمته.

أي بني، الكتاب الذي أهديه إليك هو نفحةٌ من صلاة العارفين، والسلوك المعنوي لأهل السلوك، رغم أن قلم من هو مثلي عاجزٌ عن تبيان مسيرة هذا السفر، وأعترف بأن ما كتبته لا يخرج عن حدٍّ بعض الألفاظ والعبارات، فأنا لم أحصل إلى الآن على بارقة من هذه النفحة.

ولدي، إنّ ما في هذا "المعراج" هو الغايةُ القصوى لآمال أهل المعرفة، وقد قصرت أيدينا عنها:" اسحب الشباك فالعنقاء لا تكون صيدا لأحد"(١- جزء من بيت شعر لحافظ الشيرازي).

ولكن!! لا ينبغي لنا اليأس من ألطاف الله الرحمن؛ فهو -جل وعلا- الآخذ بأيدي الضعفاء، ومعين الفقراء.

عزيزي.. الكلام هو في السفر من الخلق إلى الحق تعالى،ومن الكثرة إلى الوحدة، ومن الناسوت إلى ما فوق الجبروت، إلى حد الفناء المطلق الذي يحصل في السجدة الأولى، والفناء عن الفناء ـ هو الذي يقع في السجدة الثانية ـ بعد الصحوـ وهذا هو تمامُ قوس الوجود (من الله وإلى الله) وفي تلك الحال ليس من ساجد ومسجود له، ولا عباد ومعبود، فـ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ..﴾(الحديد/٣).

ولدي، ما أوصيك به ـ بالدرجة الأولى ـ هو أن لا تُنكر مقامات أهل المعرفة، فالإنكار سُنَّةُ الجُهال، واتَّقِ معاشرة مُنكري مقامات الأولياء، فهم قُطّاع طريق الله تعالى.

بني: تحرر من حبِّ النفس والعجب، فهما إرثُ الشيطان فبالعُجب وحبّ النفس تمرَّدَ على أمر الله بالخضوع لوليّ الله وصفيه (جل وعلا).

واعلم !! أن جميع ما يحلّ ببني آدم من مصائب ناشىءٌ من هذا الإرث الشيطاني، فهو أصل الفتنة، وربما تشير الآية الكريمة ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه..﴾(البقرة/١٩٣) في بعض مراحلها (مستوياتها) إلى الجهاد الأكبر، وقتال أساس الفتنة وهو الشيطان وجنوده. ولهؤلاء فروعٌ وجذورٌ في أعماق قلوب بني الإنسان كافة، وعلى كل إنسان أن يجاهد "حتى لا تكون فتنة" داخل نفسه وخارجها، فإذا حقق هذا الجهاد النصر، صلحت الأمور كافة وصلُح الجميع.

بني: اسعَ لتحقيق هذا النصر أو بعض درجاته، إجتهد واعمل للحد من الأهواء النفسانية التي لا حد لها ولا حصر، واستعن بالله ـ جل وعلا ـ فإنه لا يصل أحد لشيء من دون عونه؛ والصلاة ـ معراج العارفين وسفر العاشقين ـ سبيل الوصول إلى هذا المقصد.

ولو كان لك ولنا توفيقُ تحقُّق ركعة واحدة منها، ومشاهدة الأنوار المكنونة فيها، ومعرفة أسرارها الخفية ـ ولو على قدر ما نطيقه نحن ـ لحصلنا على نفحة من مقصد أولياء الله ـ ومقصودهم؛ ولشاهدنا صورةً مصغّرة لصلاة معراج سيد الأنبياء والعرفاء ـ عليه وعليهم وعلى آله الصلاة والسلام ـ نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظمى.

الطريق إذاً طويل وخطيرٌ جدا، ويستلزم الراحلة والكثير من الزاد، وزادُ أمثالي إما معدوم أو قليلٌ جدا فما من أمل إلا أن يشملنا لطف الحبيب ـ جل وعلا ـ فيأخذ بأيدينا.

عزيزي، استثمر ما بقي من الشباب، ففي الشيخوخة يضيع كل شيء، حتى الإلتفات إلى الآخرة والتوجه إلى الله تعالى.

إن من كبريات مكايد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، أن تمني الشباب بوعود الصلح والإصلاح عند حلول الشيخوخة، فتُخسرهم شبابهم الذي يضيع بالغفلة. وأما الشيبة، فتُمنيهم بطول العمر حتى اللحظات الأخيرة، وتصد الإنسان ـ بوعودها الكاذبة ـ عن ذكر الله والإخلاص له، إلى أن يأتي الموت، وعندها تأخذ منه الإيمان، إن لم تكن قد أخذته منه كاملا قبل ذلك الحين.

إذن؛ فانهض للمجاهدة وأنت شابٌّ تمتلك قوة كبرى، واهرب من كل شيء ماعدا الحبيب ـ جلَّ وعلا ـ وعزِّز بما استطعت ارتباطك به تعالى إن كان لديك ارتباط.

أما إذا لم يكن لديك ذلك ـ والعياذ بالله ـ فاسعَ للحصول عليه، واجتهد في تقويته، فليس هناك ما يستحق الإرتباط به سواه تعالى، وإذا لم يكن التعلُّق بأوليائه تعلقا به تعالى ففيه مكيدةٌ من حبائل الشيطان الذي يصدُّ عن السبل إلى الحق تعالى بكل وسيلة.

ولا تنظر أبداً إلى نفسك وعملك بعين الرضا؛ فقد كان أولياء الله الخُلّص يرون أنفسهم لا شيء، وأحيانا كانوا يرون حسناتهم من السيئات.

بني، كلما ارتفع مقام المعرفة، تعاظمَ الإحساس بحقارة ما سواه ـ جل وعلا.

في الصلاة ـ مرقاةُ الوصول إلى الله ـ هناك تكبير وارد بعد كل ثناء كما أن دخولها بالتكبير، وتلك إشارةٌ إلى أنه تعالى أكبر من كل ثناء حتى من أعظم ثناء وهو الصلاة. وبعد الخروج هناك "تكبيرات" تشير إلى أنه أكبر من توصيف الذات والصفات والأفعال.

ماذا أقول؟!

من الذي يصف وبأيِّ وصف؟!

وكل العالم من أعلى مراتب الوجود إلى أسفل سافلين هو لا شيء إذ إنَّ كل ما هو موجودٌ هو تعالى لا غير؟!

فماذا يمكن أن يُقال عن الوجود المطلق؟!

ولولا أمر الله وإذنه ـ جلّ وعلا ـ فربما لم يتحدث عنه بشيء أي من الأولياء، وإن كان كل ما هو موجود حديثاً عنه لا عن سواه!! والكلُّ عاجز عن التمرد عن ذكره، فكل ذكر ذكرُه:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَّاهُ..﴾(الإسراء/٢٣).

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة/٥). لعلها خطاب بلسان الحق تعالى إلى جميع الموجودات:

﴿..وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ..﴾(الإسراء/٤٤). وهذه أيضا بلسان الكثرة، وإلا فإنه هو الحمد والحامد والمحمود "إنَّ ربَّك يُصلِّي"(٦- أصول الكافي ج٢ كتاب الحجة، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحديث ١٣.) و﴿الله نورُ السَّموات والأَرْض﴾

ولدي.. ما دُمنا عاجزين عن شكره وشكر نعمائه التي لا نهاية لها، فما أفضل لنا من أن لا نغفل عن خدمة عباده، فخدمتهم خدمة للحق تعالى، فالجميع منه!

علينا أن لا نرى أنفُسنا ـ أبداً ـ دائنين لخلق الله عندما نَخدِمُهُم، بل هُم الذي يُمنُّون علينا حقا، لكونهم وسيلة لخدمة الله جل وعلا.

ولا تسعى لكسب السمعة والمحبوبيّة من خلال هذه الخدمة، فهذه بحدِّ ذاتها من حبائل الشيطان التي يُوقعنا بها.

واختر في خدمة عباد الله ما هو الأكثر نفعاً لهم وليس ما هو الأنفع لك ولأصدقائك، فمثل هذا

الاختبار هو علامةُ الإخلاص لله جل وعلا.

ولدي العزيز؛ إن الله حاضرٌ، والعالم محضره، ومرآة نفوسنا هي إحدى صحائف أعمالنا، فاجتهد لاختيار كلِّ عمل يُقربك إليه، ففي ذلك رضاه جل وعلا.

لا تعترض عليَّ ـ في قلبك ـ بأن لو كُنت صادقاً، فلماذا أنت نفسُك علـى غيـر هذه الحال؟! فأنا نفسي على علم بأنّي لا أتَّصف بأي من صفات أهل القلوب، ولدي خوفٌ من أن يكون هذا القلم في خدمة إبليس والنفس الخبيثة؛ فأحاسَبُ على ذلك غداً، ولكن أصل هذه المطالب حقٌّ، وإن كانت مكتوبةً بقلم من هو مثلي ممـن لـم يبعد عن الخصال الشيطانية.

وألجأ إلى الله تعالى في أنفاسي الأخيرة آملاً من أوليائه النجاة والشفاعة.

اللهم.. خُذ أنت بيد هذا العجوز العاجز، وأحمد الشاب، واجعل عواقـب أمورنـا خيراً..

واجعل لنا سبيلاً إلى جلالك وجمالك، برحمتك الواسعة.

والسلام على من اتبع الهدى

ليلة ١٥ ربيع المولود ١٤٠٧ هـ ق

روح الله الموسوي الخميني

نار الشوق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي لا رحمن ولا رحيم غيره، ولا يُعبد ولا يُستعان إلا به، ولا يُحمد سواه، ولا رب ولا مربي إلا إياه. وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولا هادي ولا مرشد إلا هو، ولا يُعرف إلاّ به، هو الأول والآخر والظاهر والباطن. والصلاة والسلام على سيّد الرسل ومرشد الكلّ الذي ظهر من غيب الوجود إلى عالم الشهود. وأتمّ الدائرة وأرجعها إلى أولها، وعلى آل بيته الطاهرين الذين هم مخازن سر الله. ومعادن حكمة الله. وهداة ما سوى الله.

وبعد..

هذه وصية من عجوز عاجز، أمضى زهاء التسعين عاماً من عمره غارقاً في مستنقع الضلالة وسكر الطبيعة، يطوي الآن أيام أرذل عمره(١- إنه اصطلاح قرآني ورد في الآية٧٠ من سورة النحل، وبعض الروايات عدّت ذلك عند بلوغ العام الخامس والسبعين.) منحدراً نحو قعر جهنم، غير آمل بالنجاة، وغير آيَس من روح الله ورحمته، فلا أمل سواه تعالى، يرى نفسه عالقاً في متاهات العلوم المتعارفة والقيل والقال وأضحت معاصيه مما يعجز سوى الله تبارك وتعالى عن إحصائها.

إلى شاب يُؤمَّل له أن يشقّ طريقه نحو الحق وينجو -بتوفيق الله وهداية الهداة- من المستنقع الذي سقط فيه أبوه.

ولدي العزيز أحمد، أنظر ـ سلمك الله ـ في هذه الأوراق نظر ناظر إلى ما يُقال، لا إلى من يقول "وانظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال"(٢- غرر الحكم ودرر الكلم لأمير المؤمنين عليه السلام "لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال".). فإني أهدف مما أقول تنبيهك رغم أنني خالٍ مما أقول بعيد عنه.

إعلم أن ليس لأيّ موجود من الموجودات ـ بدءاً من غيب عوالم الجبروت وإلى ما فوقها أو تحتها ـ شيءٌ من القدرة أو العلم أو الفضيلة، وكل ما فيها من ذلك إنما

هو منه جلَّ وعلا، فهو الممسك بزمام الأمور من الأزل إلى الأبد، وهو الأحد الصمد، فلا تخش من هذه المخلوقات الجوفاء الخاوية الخالية، ولا تُلق آمالك عليها أبداً، لأن التعويل على غيره تعالى شركٌ، والخوف من غيره جلت عظمته كفر.

بني: اسع في إصلاح نفسك ما دمت تحظى بنعمة الشباب، فإنك ستخسر كل شيء في الشيخوخة، فمن مكائد الشيطان (ولعلها أخطر مكائده ـ التي سقط فيه أبوك ومازال ـ إلا إذا إدّاركته رحمة الحق تعالى) "الاستدراج"(٣- هو التدرج في نحو العناد، وسمي توالي النعمة مع ارتكاب المعاصي استدراجاً.). ففي أوائل الشباب يسعي شيطان الباطن ـ أشد أعداء الشاب ـ في ثنيه عن إصلاح نفسه ويمنّيه بسعة الوقت، وأن الآن هو آن التمتع بالشباب، ويتسمر في خداعه بالوعود الفارغة ليصدّه عن فكرة الإصلاح تماما، وساعة بعد ساعة، ويوما بعد يوم يتصرّم الشباب، ويرى الإنسان نفسه فجأة في مواجهة الهرم الذي كان يؤمِّل فيه إصلاح نفسه، وإذا به ليس بمنأىً عن وساوس الشيطان أيضا، إذ يمنيه آنذاك بالتوبة في آخر العمر. لكنه حينما يحُسُّ بالموت في آخر العمر، يصبح الله تعالى أبغض موجود إليه، لأنه يريد انتزاع الدنيا التي هي محبوبه المفضّل منه. وهذه حال أولئك الذين لم ينطفئ نور الفطرة فيهم تماما. وهناك من أبعدَهم مستنقع الدنيا عن فكرة الإصلاح كلياً، وسيطر عليهم غرور الدنيا بشكل تام، وقد رأيت أمثال أولئك بين أهل العلوم وما زال بعضهم على قيد الحياة، وهم يرون أن الأديان ليست سوى خرافة وترهات.

بني: إنتبه جيداً، إلى أن أيّ أحد منا لا يمكنه أن يكون مطمئنا إلى عدم وقوعه في حبائل هذه المكيدة الشيطانية.

عزيزي إقرأ أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام وانظر كيف أنهم يعتبرون حسناتهم سيئات، وكيف يرون أنهم يستحقون العذاب الإلهي، ولا يفكرون سوى برحمة الحق تعالى. وأهل الدنيا وتلك الفئة من المعمّمين اللاهثين وراء بطونهم، إنما يُؤولون هذه الأدعية، لأنهم لم يعرفوا الله جل وعلا.

بني: والأمر في ذلك فوق ما نتصوره، فهم بين يدي عظمة الله، فانون من أنفسهم، لا يرون غيره تعالى، وفي تلك الحال ليس هناك كلام أو ذكر أو فكر، وليس هنـاك ذات. وهذه الأدعية الكريمة والمناجات إنما صدرت منهم في حـال الـصحو قبـل المحو أو بعد المحو، حيث أنهم حينها كانوا يرون أنفـسهم فـي محـضر الحاضـر. ونحن والجميع ـ عدا أولياء الله الخلص ـ قاصرون عن ذلك.. إذن فسأبدأ الحديث عن تلك الأمور ـ التي لا تليق بأمثالي وإنما الأمل بفضل الله وإمداد أوليائه علـيهم السلام أن يعينك أنت يا ولدي، لعلك تصل إلى تلك الحال ـ وهي "فطرة التوحيد" الأمر الموجود في ﴿..فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا..﴾(الروم/٣٠). فهو أمـرٌ فُطـر عليه جميع الناس، بل جميع الموجودات، فما يُبحث عنـه ويجـرى وراءه الجميـع سواء في العلوم والفضائل والفواضل، أو في المعارف وأمثالهـا، أو فـي الـشهوات والأهواء النفسانية، أو في التوجّه إلى كل شيء وأي شخص من قبيل أصنام المعابد والمحبوبات الدنيوية الأخروية الظاهرة والخيالية المعنوية والشكلية، كحـب النـساء والبنين والقبيلة والقادة الدنيونيين كالسلاطين والأمـراء وقـادة الجيـوش، أو القـادة الأخرويين كالعلماء المفكّرين والعرفاء والأنبياء عليه الـسلام كـل ذلـك هـو ذات التوجّه إلى الواحد الكامل المطلق. فليس من حركة تقع إلا له تعالى، وفـي سـبيل الوصول إليه جل وعلا، وليس من قدم تخطو إلا نحو ذلك الكمال المطلق، ونحـن وأمثالنا ـ ممن حجبتنا الحجب الظلمانية المتراكمة بعضها فوق بعض ـ إنما نعـاني ونتعذب نتيجة هذا الاحتجاب، وأول خطوة تكون مقدمة لرفع الحجب هي أن نعتقد أننا محجوبون، وأن علينا أن نصحو تدريجيا من خَدرَ الطبيعـة الـذي شـمل كامـل وجودنا من السر والعلن والباطن والظاهر وهي اليقظة التي عدها بعض أهل السلوك" المنزل الأول" من منازل السالكين، إلا أنها ليست كذلك، فهي حالـة عـودة الـوعي والاستيقاظ، وهي مقدمة للبدء في السير ورفع جميع الحجب الظلمانية، ثم الحجب النورانية والوصول إلى أول منزل التوحيد.

والأمر سيان إذا التزمنا إطار العقل، أو الأطر الأخرى بأسرها، فجميعها تفصح عن أن الكمال المطلق هو جميع الكمالات، وإلا فهو ليس بمطلق، ولا إمكان لظهور أي كمال أو جمال في غير الله، لأن الغيرية هي عين الشرك أن لم نقل أنها إلحاد.

عزيزي: ينبغي ـ أولاً ـ أن تخطو بقدم العلم رويداً رويدا، فإنّ أي علم هو الحجاب الأكبر، وبالدخول بهذا الحجاب ستتعلم رفع الحجب. تعال إذن ننطلق معا نحو الوجدان، لعل ذلك يفتح الطريق أمامنا.

إن أي إنسان، بل أي موجود عاشقٌ للكمال بالفطرة ومتنفرٌ من النقص، فأنت إنما تطلب العلم لأنك تطلب الكمال. وبذا فأنت ترى أن فطرتك لا تقنع أبداً بأي علم تناله، وهي بمجرد أن تدرك وجود مراتب أرقى وأعلى في هذا العلم، فإنها ستبحث عنها وتطالب بها، وسوف تتنفّر مما لديها من العلم الذي نالته لما سترى من محدودية ونقص. فما تعشقه الفطرة هو كمال العلم لا نقصه، ولو إن مقتدرا اهتم بقدرته فهو إنما يسعى إلى كمال القدرة لا إلى نقصها، لذا نرى المقتدرين يسعون دوماً لقدرة أعظم وأعلى، غافلين عن أن القدرة المطلقة إنما هي الموجود المطلق. وأن جميع "دار التحقق" إنما هي مظهر من ذلك الموجود المطلق. وأينما تولِّ وجهك إنما تولَّ وجهك إليه، إلا أنك محجوبٌ ولا تعلم، وإذا أدركت هذا المقدار وفهمته بالوجدان فلا يمكن أن تتوجّه إلى غير الموجود المطلق، وذلك هو الكنز الذي يغني الإنسان عن الحاجة إلى غيره تعالى، ويصبح كلُّ ما يصل إليه من المحبوب المطلق، وكل ما سُلِبَه إنما سَلَبَه إياه المحبوب المطلق. حينها ستستشعر اللذة حينما ترى من يبحثون عن سقطاتك وعيوبك، لأن ذلك كله من المحبوب وليس منهم، وحينها أيضا لن تعلق القلب بأيِّ مقام غير مقام الكمال المطلق.

ولدي العزيز: دعني أتحدث إليك الآن بقلمي ولساني العاجزين:

أنت والجميع تعلمون بأنكم تحت ظل نظام وقف بوجه القوى الشيطانية بيُمن القدرة والتوفيق الإلهيين، وبدعاء وتأييد بقية الله (٥- مر ذكره سابقا). ـ أرواحنا لتراب مقدمة الفداء ـ وبتضحيات الشعب الإيراني الثوري ـ روحي فداهم واحداً

واحداً ـ نظامٌ مرغ بالتراب أنف نظام الفوضى الملكية الذي لم يُحسن ـ خلال آلاف السنين ـ غير الظلم وإلحاق الأذى بأبناء الشعب والقتل والنهب. وفي هـذا الخـضمّ تعرض أولئك الطفيليون ـ أتباع النظام الفاسد الذين مارسوا أنواع الظلـم والتعـدي والسلب ـ إلى السقوط من أوج قدرتهم إلى أسفل الـسافلين ـ كمـا حـصل لتـك القوى الشيطانية وشبكات إعلامها المضلل ـ وتفرق الكثير منهم الآن فـي مختلـف البلدان الأجنبية، عدا من بقي منهم في داخل البلاد وقلبـه متعلـق بالأجانـب، وقـد عقدوا مع الغرب عقد الوئام، فهم جميعاً قد تعرضوا إلـى فقـدان مـصالحهم علـى المستوى الدولي، وأصبحوا حديث الناس بما أصابهم من الخزي والعار، واليوم فإن لهؤلاء ـ خصوصا أمريكا الناهبة ـ مؤيدين في العالم، وبين الـشعوب المستـضعفة والغافلة عن حقيقة القدرة التي يمتلكها الإسلام، وفي مجتمعنا نحن أيـضا، العديـد من المأسورين بأمريكا يعيشون بيننا وقد امتشقوا سيوفهم بوجـه هـذه الجمهوريـة المباركة والمسؤولين فيها، ينتظرون زوالها لما يرون من خطر يُهدّد منافع الغرب، ـ بسبب الإسلام العظيم ـ القدرة الوحيدة التي تسببت في تعرضهم لهذا الخطر.

كذلك فإن الشرق الملحد ـ الذي يقف بوجه أيّة محاولة تمسّ قدرته، وبعـد أن سيطر هو الآخر على نصف العالم ـ يحس أنه وأصدقاءه في معرض الخطر أيضاً من هذا الإسلام المتنامي القدرة، هذا الشرق الملحد لـه فـي داخـل الـبلاد وخارجهـا مؤيدون أيضاً يقفون تبعا لمعبـودهم الكبيـر بوجـه الإسـلام العظـيم والجمهوريـة الإسلامية ومسؤولي النظام، ويسعون جاهدين للقضاء عليها وعلى أيّ أثر لها.

في مثل هذا المحيط، وفي مثل هذه الأوضـاع، هـل تتوقـع أن يُـشدّ علـى يـد الجمهورية الإسلامية، وينبري المادحون لمدحها، والترحيب بها وبالمسؤولين فيها؟

إن طبيعة التفكير البشري الفاسد تقتضي إزالـة مـا يُعتبـر عوائـق مـن الطريـق، واستخدام أية وسيلة لتحقيق ذلك، وأحد أساليبهم التي يلجأون إليها ـ علاوة علـى الأسلوب العسكري والاقتصادي والقضائي ـ "الأسلوب الثقافي" فالثقافـة المنحطـة للغرب والشرق تقتضي اسـتخدام كـل الإمكانـات الإعلاميـة المتاحـة لهـم لنـشر

الأكاذيب على مدار الساعة، وإلصاق الاتهامات والافتـراء علـى الثقافـة الإسـلامية الإلهية، واستغلال كل فرصة للقضاء على القوانين الإلهية للجمهورية الإسلامية وعلى أصل الإسلام، واعتبار المرتبطين بالإسلام رجعيين وفاقدين للحسّ الـسياسي. إلـى غير ذلك، من القول بعدم مناسبة القوانين الإسلامية لعصرنا الحاضر، على أساس أنها قوانين مضى عليها ألف وأربعمائة عام، فلا تنفع في إدارة الأمور في وقتنا الحاضـر الذي يمتلىء بالمستجدات التي لم تكن موجودة في تلك العصور، وقد كرر بعـض مدّعي الإسلام هذه الأمور أيضاً، وما زالوا.

في مثل هذا المحيط ينبغي الوقوف بوجه هذه المؤامرات الواسعة ـ استناداً إلـى الثقافة الإلهية الإسلامية ـ والثبات بوجهها، فينبري لذلك الكتاب الملتزمون والخطباء والفنانون للاستفادة من هذه الفرصة العظيمة، وباستمداد مـن الروحـانيين العـارفين بالفقه الإسلامي والقرآن الكريم، ممن يستنبطون الأحكام الإلهية المناسبة لكل عصر بالاجتهاد الصحيح من القرآن الكريم، والسنة النبويـة المطهـرة والأخبـار الفياضـة بالمعارف الإلهية والفقه الأصـيل(٦- الفقـه التقليـدي هـو أسـلوب فـي اسـتنباط واستخراج الأحكام الشرعية مـن مـصادرها الفقهيـة المعتبـرة، وقـد التـزم علمـاء المسلمين الشيعة بهذا الأسلوب منذ عهد الأئمة عليهم السلام وحتـى يومنـا هـذا، البعض كان يظن أن هذا الأسـلوب يتعـارض مـع الفقـه المتحـرك، لكـن الإمـام الخميني(قده) اعتبر أن الفقه الحركي أو المتحرك ـ الذي يـشكل أثـر دور الزمـان والمكان في الاجتهاد ـ يسير بموازاة الفقه التقليدي ومكمل لـه.) وعرضـها للعـالم أجمع. ولا تخشوا أولئك الذين لا همَّ لهم سـوى البحـث عـن عيـوب الآخـرين، والمنحرفين، ووعاظ السلاطين، والمعمّمين المرتبطين ببلاط الملوك، وفهِّموا أولئك القشريين من الروحانيين أو غيرهم ممن يقفون بوجه الحكومة الإسـلامية جهـلا أو عمدا، أو بباعث الحسد أو عدم الفهم ـ بما اتبعه النبي الأكرم صلى الله عليـه وآلـه وسلم وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وسائر الأئمة من أساليب، وبالموعظة الحسنة ـ بأن هذه الانحرافـات إذا أدّت إلـى إلحـاق ضـرر مـا ـ لا سـمح الله ـ

بالجمهورية الإسلامية التي تهدف إلى إحياء الإسلام الذي تعرض للظلم على مدى التاريخ، فإن الإسلام سيتعرض إلى ضربة من الغرب والشرق، ومن المرتبطين بهما مما يؤدي إلى أن نواجه قروناً من الفساد تفوق عصر الملكية المقبور الظالم ظلمةً وفساداً.

والآن جاء دور تقديم النصيحة الأبوية إلى ولدي أحمد:

بني: رغم أنك لم تتصد لأية مسؤولية مما تصدى له القادة الإسلاميون المسؤولون ـ أيدهم الله تعالى ـ إلا أنك تتعرض للكثير من الصدمات، وما ذلك إلا لأنك إبني، فبناءاً على فهم الغرب والشرق، ينبغي أن أصبح أنا وكل من هو قريبٌ مني ـ خصوصا أنت لما تمثله من القرب الشديد مني ـ موضعاً للتهمة والأذى والافتراء. فجريرتك الحقيقية هي أنك ابني، وهذا ليس بالجرم القليل في نظرهم، ولاشك أ،هم سيعرضونك إلى أشدّ من هذا، وعليك أن تستعد لتحمّل المزيد، ولكنك إذا تمسكت بالإيمان وبالاعتقاد بالله تعالى، واطمأننت إلى حكمه الباري ورحمته الواسعة، فإنك سترى هذه التهم والافتراءات والمتاعب المتزايدة هدايا من محب يريد إعانتك على ترويض نفسك، وابتلاءً وامتحاناً إلهياً لتنقية نفوس عبيده. تحمّل الصدمات إذن، واشكر الله تعالى على رعايته لك واسأله المزيد.

ابني العزيز: رجوتني مرات عديدة أن لا أتحدث عنك بما يدلُّ على تبرئتك من التهم المنسوبة إليك، وقلت أن ذلك لأجل الإسلام ومصلحة الجمهورية الإسلامية. ولكن إذا رأيت في هذه الوريقات أني خالفت قولك هذا وقلت عنك شيئاً غير ما طلبت مني، فاعلم أن ذلك عمل بالتكليف الإلهي، والتصدي للدفاع عن شخص مسلم، أو عن أحد عباد الله ممن تحمّلوا في سبيلي كل هذه التهم والأذى، دون أن أقول أنا كل ما أعرف عنه.

أشهد الله القاهر الحاضر المنتقم بأن (أحمد) ومنذ اليوم الذي تصدى فيه لمساعدتي، وأصبح مسؤولاً عن علاقاتي الخارجية وإلى الآن ـ حيث أكتب هذه الكلمات ـ لم يخطُ خطوةً، أو يكتب حرفاً واحداً خلافا لقولي، أو لما أكتبه، وقد

سعى بحرصٍ شديد على عدم تغيير كلمة واحدة، بل حتى حرف واحد أحيانا مما قلته أو كتبته مما يرى هو حاجة إلى إصلاحه دون إذنٍ مني، رغم أني أجزته هو وبعض أعضاء مكتبي الخاص ممن تكفلوا مسؤولية العلاقات الخارجية ـ حفظهم الله ـ أن يلفتوا نظري إلى أي شيء يرون فيه خلاف الصلاح، وقد كان ابني (أحمد) دوما في مجريات هذه الأمور وما زال، إلاّ أنه إلى الآن لم يعمل على إضافة أو إنقاص كلمة دون الرجوع إليّ والله على كل ذلك شهيد.

إلهي رغم عدم رغبتي في كتابة أو قول أي شيء حول أقربائي مما يُشمّ منه رائحة المديح، إلا أنك تعلم يا إلهي بأنّ السكوت إزاء التهم الباطلة جرمٌ وذنب، وإنّي لم ألمس من إخواني ممن يعملون في مكتبي أية مخالفة تستوجب عدم رضاي. هؤلاء كان لهم ماضٍ طويل معي، وقد تعرض من بينهم الشيخ الصانعي(٧- هو الشيخ حسن الصانعي من العلماء الملتزمين والمجاهدين، ويتولى حاليا رئاسة مؤسسة الخامس عشر من خرداد). إلى مختلف الصدمات ـ على مدي حياتي ـ بسبب ارتباطه بي وإني أدعو لهم جميعا بالأجر الجزيل والصبر الجميل.

لا يفوتني أن أقول في الختام بأن (أحمد) لم يستلم إلى الآن ديناراً واحداً من بيت المال، وإني أنفق من أموالي الخاصة لأمور معاشه.

اللهم اغفر لنا -نحن عبيدك الغارقون في الذنوب- ولا تحجب عنا رحمتك الواسعة، وإن كنا لسنا أهلاً لذلك، ولكنّا مخلوقاتك.

اللهم! إحفظ هذه الجمهورية الإسلامية والمسؤولين فيها، ومقاتلينا الأعزاء، وارعهم بعين رعايتك، وارحم الشهداء والمفقودين الأعزاء وعوائلهم برحمتك، ورُدّ الأسرى والمفقودين إلى أوطانهم بحق محمد وآله الأطهار عليهم السلام.

بتاريخ ٢٧ -ربيع الثاني ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧/١٢/١٩م

روح الله الموسوي الخميني

وقود الحب

إلى السيدة فاطمة الطباطبائي

بسم الله الرحمن الرحيم

" فاطمة التي طلبت مني رسالة عرفانية، طلبت من نملة عرش سليمان كأنها لم تسمع "ما عرفناك" ممن طلب منه جبريل نفحة رحمانية"(١- إشارة إلى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما عبدناك حق عبادتك وما عرفناك حق معرفتك" مرآة العقول١٤٦/٨.)

أخيراً بعد الإصرار، حملتني على أن أكتب وبشكل ببغاوي، عدة أسطر عما قلبي غير مطلع عليه، وأنا أجنبي عنه.

وهذا في الوقت الذي رمى ضعف الشيخوخة ما كان في كنانتي ـ رغم أنه لم يكن شيئا يذكر ـ في دائرة النسيان.. وأضيفت إلى ذلك الابتلاءات التي لا تُحكى ولا تُكتب.. ويكفي أن أذكر تاريخ هذا الكتاب ليُعلم في أي زمان بدأت (الكتابة) حتى لا أرد طلبك السبت ٢٤ شعبان المعظم ٥/١٤٠٤ خرداد ١٣٦٣، وليلاحظ القراء أوضاع العالم وإيران في هذا التاريخ.

من أين أبدأ، الأفضل أن يكون ذلك من الفطرة﴿..فِطْرَةَ اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْديلَ لخَلْقِ اللَّه..﴾(الروم/٣٠). هنا أكتفي بالفطرة الإنسانية رغم أن هذه خاصية الخلقة ﴿..وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْده وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ..﴾(الإسراء/٤٤).، "الكل يقولون:" نحن سميعون وبصيرون ومدركون إلاّ أننا معكم أيها الأجانب ساكتون"(٢-مضمون بيتين لمولوي، الدفتر الثالث.)، نحن أيضا نلقي نظرةً على العرفان الفطري للناس ونقول: بمقتضى الفطرة والخلقة لا يمكن أن يتوجه الإنسان إلى غير الكمال المطلق أو يتعلق قلبه به.

كل الأرواح والقلوب متوجهةٌ إليه، ولا ولن تبحث عن غيره، وتمدحه هو ولا تستطيع أن تمدح غيره. . مدح كل شيء مدح له رغم أنّ المادح ما دام في الحجاب

يظن أنه يمدح غيره.. وفي التحليل العقلي الذي هو أيـضاً حجـاب، الأمـر كـذلك أيضا.

ذلك الذي يطلب الكمال كيفما كان يعشق الكمال المطلق لا الكمـال النـاقص.. كل كمال ناقص محدود بالعدم، والفطرة تنفر من العدم.

طالب العلم يطلب العلم المطلق ويعشق العلم المطلـق وكـذلك طالـب القـدرة وطالب كل كمال.

الإنسان ـ بالفطرة ـ عاشق الكمال المطلق، وما يريده في الكمـال النـاقص هـو كماله لا نقصه، لأن الفطرة منزجرةٌ منه. والحجب الظلمانية والنورانية هي التي توقع الإنسان في الخطأ.

الشعراء والمداحون يظنون أنهم يمدحون الأمير الفلانـي أو المقتـدر الفلانـي أو الفقيه الفلاني..

أنهم يمدحون القدرة والعلم لا بشكلهما المحدود وإن ظنوا أنها محدودة. وهـذه الفطـرة لا يمكـن تبـديلها وتغييرهـا﴿..لاَ تَبْـدِيلَ لِخَلْـقِ اللَّـهِ ذَلِـكَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ..﴾(الروم/٣٠). وما دام الإنسان في حجاب نفسه ومشغولا بنفسه ولـم يخـرق الحجب حتى الحجب النورانية ففطرته محجوبة والخروج من هذا المنزل يحتـاج ـ بالإضافة إلى المجاهدات ـ إلى هداية الحق تعال.

تقرأين في المناجاة الشعبانية المباركة:"إلهي هب لي كمال الانقطاع إليـك وأنـر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلـى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقةً بعزّ قدسك، إلهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك فناجيته سراً(٣- بحار الأنوار ٩٧/٩١)..."، كمـال الإنقطـاع هذا هو الخروج من منزل الأنا والإنية ومن كل شيء وكل شـخص، والالتحـاق بـه والانقطاع عن الغير. وهو هبةٌ إلهية إلى الأولياء الخلّص بعد الـصعق الحاصـل مـن الجلال الذي يقع إثر اللحظ (ولاحظته) الخ....

وما لم تُنوّر أبصار القلوب بضياء نظرته لا تُخرق حجب النور ومادامت هذه الحجب باقية فلا سبيل إلى معدن العظمة، ولا تحصل الأرواح على التعلّق بعزّ القدس ولا تحصل مرتبة التدلي"ثم دنا فتدلى" وأدنى من ذلك الفناء المطلق والوصول المطلق.

"أيها الصوفي يجب الحصول على الصفاء من طريق العشق"

"العهد الذي عاهدته يجب الوفاء به"

"ما لم يتحقق لك وصال المحبوب فيجب أن تفني نسك في الطريق إليه"(٤-* مضمون بيتين).

ولا تتحقق النجوى السرية للحق مع عبده الخاص إلا بعد الصعق واندكاك جبل الوجود(٥-إشارة إلى مضمون قوله تعالى: ﴿..فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾(الأعراف/١٤٣).) رزقنا الله وإياك.

إبنتي: الإنشغال بالعلوم حتى العرفان والتوحيد إذا كان لاكتناز الاصطلاحات ــ هو حاصل ــ أو لأجل نفس تلك العلوم، فإنه لا يقرب السالك من الهدف بل يبعده عنه (العلم هو الحجاب الأكبر).

وإذا كان البحث عن الحق وعشقه هو الهدف ــ وهو نادرٌ جداً ــ فذلك مصباح الطريق ونور الهداية، (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده)(٦-المحجة البيضاء /٤٥/٥ بحار الأنوار٢٣٥/١ باختلاف يسير.) وللوصول إلى يسير منه يلزم التهذيب والتطهير والتزكية؛ تهذيب النفس وتطهير القلب من غيره فضلاً عن التهذيب من الأخلاق الذميمة التي يحتاج الخلاص منها إلى كثيرٍ من المجاهدة وفضلا عن تهذيب العمل مما هو خلاف رضاه جل وعلا، والمواظبة على الأعمال الصالحة، من قبيل الواجبات التي هي في الطليعة، والمستحبات بقدر الميسور وبالقدر الذي لا يوقع الإنسان في العجب والأنانية.

ابنتي: العجب والغرور نتيجتان لغاية الجهل بحقارة النفس وعظمة الخالق، إذا فكر (الإنسان) قليلاً في عظمة الخلقة بالمقدار الذي وصل البشر ــ رغم كل هذا التقدم

العلمي ـ إلى شيء يسير منه، يدرك حقارة وضآلة نفسه وكل المنظومات الشمسية والمجرات، ويفهم قليلا من عظمة خالقها ويخجل من عُجبه وأنانيته وغروره ويشعر بالجهل.

في قصة حضرة سليمان نبي الله عليه السلام نقرأ عندما يمر بوادي النمل: ﴿..قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾(النمل/١٨).

النملة تصف سليمان النبي مع مرافقيه بعنوان ﴿لا يشعرون﴾ والهدهد يقول له ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ وعمى القلوب لا يستطيعون تحمل نطق النملة والطير فضلا عن نطق ذرات الوجود وما في السموات والأرض التي يقول خالقها: ﴿.. إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ..﴾(الإسراء/٤٤).

الإنسان الذي يرى نفسه محور الوجود ـ رغم أن الإنسان الكامل كذلك ـ غير معلوم أنه كذلك في نظر سائر الموجودات، والبشر الذين لم يبلغوا الرشد ليسوا كذلك ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ..﴾(الجمعة/٥). هذا مرتبط بالرشد العلمي بدون التهذيب وقد جاء في وصفه ﴿..أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ..﴾(الأعراف/١٧٩).

إبنتي: بُعث الأنبياء ليعطوا البشر الرشد المعنوي ويخلصوهم من الحجب.. وللأسف أقسم الشيطان وبواسطة أذنابه أن لا يدع أهدافهم تتحقق ﴿..فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(ص/٨٢).

نحن جميعا نيام ومبتلون بالحجب (الناس نيام وإذا ماتوا انتبهوا)(٧-عوالي اللئالىء ٧٣/٤ بحار الأنوار ٤٣/٤) كأن جهنم محيطةٌ بنا، وخدر الطبيعة مانع من الشهود والإحساس﴿..وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(التوبة/٤٩).

وللكفر مراتب كثيرة رؤية النفس ورؤية العالم والنظر إلى غير الله من مراتب ذلك.

أول سورة من القرآن..إذا تدبرناها ونظرنا إليها بعين غير هذه العين الحيوانية ووصلنا إليها بعيدا عن الحجب الظلمانية والنورانية فإن ينابيع المعارف تتدفق إلى القلب، ولكن للأسف إننا غافلون حتى عن افتتاحها (ومن اطلع وخرج من الغفلة لم يصلنا خبره)(٨-عجز بيت لسعدي وترجمه صدره: مدّعو البحث عنه لا علم لهم به.).

أنا القائل الغافل وغير العامل أقول لابنتي تدبري القرآن الكريم هذا المنبع للفيض الإلهي ورغم أن صرف قراءته باعتباره رسالة المحبوب إلى السامع المحجوب له أثار محببة، لكنّ التدبر فيه يهدي الإنسان إلى المقامات الأعلى والأسمى ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد/٢٤). وما لم تُفتح هذه الأقفال والأغلال وتتحطم لا يحصل من التدبر ما هو نتيجة... يقول الله المتعال بعد قسم عظيم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ*فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ*لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾(الواقعة/٧٧:٧٩). وطليعة أولئك هم الذين نزلت فيهم آية التطهير، أنتِ أيضاً لا تيأسي لأن اليأس من الأقفال الكبرى، اسعي قدر الميسور في رفع الحجب وكسر الأقفال للوصول إلى الماء الزلال ومنبع النور.

ما دام الشباب في يدك فجدي في العمل وفي تهذيب القلب وكسر الأقفال ورفع الحجب، فإن آلاف الشباب الذين هم أقرب إلى أفق الملكوت يوفقون لذلك ولا يوفق هرم واحد.

القيود والأغلال والأقفال الشيطانية إذا غُفل عنها في (مرحلة) الشباب تضرب جذورها في كل يوم يمضي من العمر وتصبح أقوى "الشجرة التي تُقتلع الآن من جذورها بقوة تصبح بمرور الزمان عصيةً لا يمكن اقتلاعها"(٩- كلستان سعدي الباب الأول الحكاية الرابعة.).

من مكائد الشيطان الكبرى والنفس الأخطر منه أنهما يعدان الإنسان بالإصلاح في آخر العمر وزمان الشيخوخة، ويؤخران التهذيب والتوبة إلى الله إلى الزمان الذي

تصبح فيه شجرة الفساد وشجرة الزقوم قوية والإرادة والقدرة على التهذيب ضعيفتين بل ميتتين...

لا نبتعد عن القرآن! في هذه المخاطبة بين الحبيب والمحبوب والمناجاة بين العاشق والمعشوق أسرار لا سبيل لأحدٍ إليها غيره هو وحبيبه ولا إمكان أيضاً للحصول على هذا السبيل..

لعل الحروف المقطعة في بعض السور مثل "ألم" "ص" "يس" من هذا القبيل.. وكثيرٌ من الآيات الكريمة التي لكلٍ من أهل الظاهر والفلسفة والعرفان والتصوف تفسيره أو تأويله الخاص لها، أيضاً من هذا القبيل.. رغم أن لكل طائفة بمقدار قابليتها حظاً أو خيالاً.. وتصل إلى الآخرين نفحةٌ من هذه الأسرار بواسطةٍ أهل بيت الوحي الذين جرت عليهم الأسرار من منبع الوحي الفوار وتصل منهم إلى الآخرين كلٍ بمقدار قابليته.. وكأنّ أكثر المناجاة والأدعية خصَّصت لهذا الأمر..

ما نجده في أدعية المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) ومناجاتهم، قليلاً ما نجده في الأخبار التي هي في الأكثر بلسان العرف والعموم. ولكن لسان القرآن لسان آخر، لسان يرى كل عالم ومفسر أنه يعرفه.. ولكنه لا يعرفه.

القرآن الكريم من الكتب التي لم يسبقه إلى معارفه سابق.

وتصوّر كثير من معارفه أصعب من تصديقها..

كثيرا ما يمكن إثبات مطلب فلسفي بالبرهان الفلسفي والرؤية العرفانية ولكن مع العجز عن تصوره.

تصور ربط الحادث بالقديم الذي عبّر تعالى عنه في القرآن الكريم بتعبيرات مختلفة، وكيفية معية الحق مع الخلق التي يقول البعض إنها المعية القيومية(١٠-*معية الحق مع الخلق، مصطلح مأخوذ من قوله تعالى ﴿وهو معكم﴾ فما هي حقيقة هذه المعية؟ يذكر الإمام أن البعض قالوا إنها المعية القيومية وهي تعني أن فلاناً مثلاً قائم بالله تعالى "الله معه" لأنه لولا الله تعالى لما كان قائما وقد ذكر الشهيد ستغيب في "القلب السليم" عن كتاب "شفاء الصدور" أن المعية على ثلاثة أقسام: المعية

القيومية، معية المصاحبة، المعية الروحانية وذكر تعريف كل منها فقال عن الأولى أنها "عبارة عن الإحاطة بوجود الشيء بحيث يكون الإنفكاك عنه محالا بمعنى أن المقيم (من قام به الشيئ) إذا رفع علاقة الإقامة عنه فإنه يفنى وينعدم وهذه هي معية الله مع الخلق﴿..وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ..﴾(الحديد/٤). القلب السليم ج١/٢٩٧ ومراد الإمام رضوان الله عليه أن القائلين بهذه المعية القيومية - إذا أرادوا تصور ما قالوا فهو عصي عليهم ومن "المعضلات"). التي (يعتبر) تصورها حتى لأولئك القائلين بها من المعضلات.. وظهور الحق في الخلق وحضور الخلقة (الخليقة) لدى الحق وأقربيته جلَّ وعلا إلى المخلوق من حبل الوريد ومفاد ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾(النور/٣٥).، و﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ..﴾(الحديد/٣).، و﴿..مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ...﴾(المجادلة/٧).الخ، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة/٥). وأمثال هذه مما أظن أنه لم يتحقق تصوره لغير المخاطب به ولأقربائه بتعليمه، الذين كانوا أهلا لمثل هذه المسائل، والوصول إلى كوة منه يستلزم المجاهدة المشفوعة بالتهذيب.

"المؤسف أن عمر هذا المكسور القلم مضى وليس من نتيجة لقيل المدرسة وقالها إلا الكلام المحزن بعد كل ذلك التوثب"(١١-مضمون بيتين.) واليوم لا أثر للشباب الذي هو ربيع الحصول (العثور)، ولا أرى إلا منسوجات السابق وهي حفنة من الألفاظ.

وأوصيك أنت وجميع الشباب الطالبين للمعرفة أنكم وجميع الموجودات جلوته هو وظهوره هو. . اسعوا وجاهدوا لتعثروا على بارقة من ذلك وتذوبوا فيه فتصلوا من العدم إلى الوجود المطلق.

" عندما أصبح عدماً كالناي يردد لحنَ﴿إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(١٢-مضمون بيتين).

إبنتي: الدنيا وكل ما فيها جهنم، ويظهر باطنها في آخر السير. وما وراء الدنيا إلى آخر المراتب، الجنة. ويظهر باطنها في آخر السير عند الخروج من خدر الطبيعة..

ونحن وأنتم والجميع نسير إما نحو مقر جهنم أو نحو الجنة والملأ الأعلى.

في الحديث أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا يوما في جمع من الصحابة فسمعوا فجأة صوتا مهيبا.. سألوه.. ما هذا الصوت؟ فقال: ″حجرٌ ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة والآن وصل إلى قعرها″(١٣-تجد الحديث في علم اليقين ١٠٠٢/٢).

فقال أولوا الألباب: في ذلك الوقت سمعنا أن رجلا كافرا عمَّر سبعين سنة مات الآن ووصل إلى جهنم..

نحن جميعا في الصراط، والصراط يمرّ من متن جهنم(١٤-″إن الصراط جسر على متن جهنم يمر عليه الخلائق″ علم اليقين ٩٦٧/٢).. ويظهر باطنه في ذلك العالم، وهنا (في الدنيا) لكلّ إنسان صراطه الخاص به، وهو يسير(في حال السير) أما في صراطه المستقيم الذي ينتهي إلى الجنة وأعلى أو الصراط المنحرف شمالا أو المنحرف يمينا وكلاهما ينتهيان إلى جهنم، ونحن نسأل الله المنان الصراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ*صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ (الذي هو انحراف من جهة) وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾(الفاتحة/٦،٧). (الذي هو انحراف من الجهة الأخرى) ونشاهد هذه الحقائق في الحشر عياناً..

صراط جهنم الذي وردت الروايات في وصفه من حيث الدقة والحدة والظلمة(١٥-عن الإمام الصادق عليه السلام: ″الصراط أدق من الشعر ومن حد السيف″ بحار ٤٦/٨) هو باطن الصراط المستقيم في هذا العالم. كم هو طريق دقيق ومظلم.. وكم هو صعب العبور منه.. لأمثالنا نحن العاجزين..

أولئك الذين اجتازوه دون أي انحراف يقولون ″جزنا وهي خامدة″(١٦-في رواية عن المعصوم عليه السلام حين سُئل عن عموم الآية: ﴿إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا..﴾(مريم/٧١). قال: ″جزنا وهي خامدة″ علم اليقين٩٧١/٢) وكل شخص هناك ينعكس سيره في هذا الصراط بمقدار ما سار فيه.

ضعي الغرور والآمال الشيطانية الكاذبة جانباً.. وجدّي في العمل وتهذيب نفسك وتربيتها فإنّ الرحيل قريب جدا.. وكل يوم يمر وأنتِ غافلة. يجعلك متأخرة..

لا تقولي أيضاً: ولماذا أنتَ لست مستعداً.. (أُنظر إلى ما قال لا إلى من قال)(١٧- غرر الحكم فصل ٣٠ح ١١).

مهما كنتَ أنا، فأنا لنفسي، والجميع أيضاً كذلك، جهنّم كل شخص وجنَّته نتيجة أعماله.. نحصد الشيء الذي زرعناه.. فطرة الإنسان وخلقته(مبنيتان) على الاستقامة والحسن.. حب الخير فطرة الإنسان.. نحن أنفسنا نحرف هذه الفطرة ونحن أنفسنا ننشر الحجب ونَلبس أنفسنا هذه الشباك.

"هؤلاء العاشقون الذين هم في الصراط كلهم يبحثون عن معين الحياة".

"يطلبون الحق ولا يعرفونه.. يطلبون الماء جميعاً وهم جميعا في الفرات"(١٨- مضمون بيتين).

الليلة الماضية سألت عن أسماء الكتب العرفانية.. ابنتي اهتمي برفع الحجب لا جمع الكتب..(قولي لي) إذا نقلتِ الكتب العرفانية والفلسفية من السوق إلى المنزل، من مكان إلى مكان أو جعلتِ نفسك مخزناً للألفاظ والاصطلاحات.. وعرضت في المجالس والمحافل ما في جرابك وخدعت الحضّار بمعلوماتك وزدتِ ثقل حملك بخداع الشيطان والنفس الأمارة الأخبث من الشيطان، وأصبحت بلعبة إبليس زينة المجالس وتبعكِ ـ لا سمح الله ـ غرور العلم والعرفان وسيفعل. فهل بهذه المحمولات الكثيرة زدت الحجب أم خففتها. أورد الله عز وجل لإيقاظ العلماء الآية الشريفة:

﴿مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ..﴾(الجمعة/٥). ليعلموا أنّ اختزان العلوم ـــ حتى إذا كان علم الشرائع والتوحيد ـ لا يخفف الحجب بل يزيدها وينقل (صاحبه) من الحجب الصغار إلى الحجب الكبار.

لا أقول اهربي من العلم والعرفان والفلسفة واقضي عمرك بالجهل، فإن هذا انحراف.

أقول: إسعي وجاهدي كي يكون الدافع إلهيا ومن أجل المحبوب.. وإذا عرضت (شيئاً من العلم) فليكن لله ولتربية عباده لا للرياء والتظاهر فتصبحي ـ لا سمح الله ـ

من علماء السوء الذين يتأذى أهل النار برائحتهم(١٩-إشارة إلى رواية عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيها "وإن أهل النار ليتأذون بريح العـالم التـارك لعلمه" الخصال ٥١/١).

أولئك الذين وجدوه وعشقوه ليس لهم دافعٌ سواه.. وبهذا الدافع أصـبحت كـل أعمالهم إلهيةً -الحرب، والصلح، والضرب بالسيف، والكرّ.. وكل مـا تتـصورين.. (ضربة على يوم خندق أفضل من عباده الثقلين)(٢٠-بحار الأنوار٢/٣٩).

لولا الدافع الإلهي لما كانت تعادل فلساً حتى إذا كانت سبباً لفتح كبير.. لا يُظـن أن مقام الأولياء خصوصا ولي الله الأعظم عليه وعلى أولاده الصلوات والسلام ينتهي هنا.

القلم لا جرأة له على المضي والبيان ولا طاقة له ليشرح.. وماذا نقول للمحجوبين نحن المحجوبون.. وماذا نعلم نحن لنقول.. ما هو موجود ليس مما يُحكى وهو أعلى من أفق وجودنا.

ولكن لا بأس، فإنّ ذكر الحبيب يؤثر في القلب والروح حتى إذا لـم يُفهـم مـن ذكره شيء، كالعاشق الأمي الذي ينظر إلى كتابة رسالة المحبوب فيـأنس لأنّ هـذه رسالة المحبوب، وكالفارسي المضطرب لعدم معرفته العربية ليقـرأ القـرآن الكـريم ويأنس به لأنه منه (تعالى) وتعتريه حالةٌ هي أفضل آلاف المرات من (حالة) الأديب العالم الذي شغل نفسه بـإعراب القـرآن، ومزايـاه الأدبيـة وبلاغتـه وفـصاحته أو الفيلسوف العارف الذي يفكر بمسائله العقليـة والذوقيـة ويغفـل عـن المحبـوب، وكمطالعة الكتب الفلسفية والعرفانية التي تهتم بمـستوى الكتـاب ولا اهتمـام لهـا بالكاتب.

ابنتي: موضوع الفلسفة مطلق الوجود، من الحق تعالى إلى آخر مراتب الوجـود. وموضوع علم العرفان والعرفان العلمي الوجود المطلق، أو فقولي الحق تعـالى، ولا بحث له غير الحق ومظهره ولا سواه..

إذا بحث كتابٌ أو عارفٌ عن شيء غير الحق فلا الكتاب عرفان ولا القائل عارف..

وإذا نظر فيلسوف إلى الوجود كما هو، وبحث، فنظره إلهي وبحثه عرفاني. وكل هذه هي غير الذوق العرفاني الذي هو بعيد عن البحث وغير ذلك المهجور، فضلاً عن الشهود الوجداني وبعده العدم في عين الغرق في الوجود (إطفىء السراج فقد طلعت الشمس)(٢١-روي أن كميل بن زياد سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن "الحقيقة" وبعد عدة إجابات وأسئلة قال لكميل:"إطفيء السراج فقد طلع الصبح" مجال المؤمنين (فارسي) ١١/٢.).

إبنتي: سمعت أنك كنت تقولين: أخشى أن أتأسف أيام الامتحان لأني لم أعمل في أيام التعطيل. هذا التأسف وأمثاله ـ مهما كان ـ فهو سهل وسريع الزوال..

ذلك التأسف الدائم والأبدي، هو عندما تعودين إلى رشدك وتدركين أن كل شيء ترينه ليس هو، وأن تلك الأستار لا يمكن أن تزول، وتلك الحجب لا يمكن أن ترفع.

يقول أمير المؤمنين في دعاء كميل: فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك..

أنا الأعمى القلب لم أستطع حتى الآن أن أقرأ بجد هذه الفقرة وبعض الفقرات الأخرى في هذا الدعاء الشريف بل أقرأها بلسان عليّ عليه السلام ولا أعرف ما هو هذا الشيء الذي يعد الصبر عليه أشد من الصبر على عذاب الله في جهنم.

ذلك العذاب الذي (ناره) "تطلع على الأفئدة".

كأن "عذابك" هو "نار الله" التي تحرق الفؤاد.. لعلّ هذا العذاب فوق عذاب جهنم..

نحن عمي القلوب لا نستطيع إدراك وتصديق هذه المعاني التي هي فوق الفهم البشري.

فلندعْ هذا لأهله الذين هم قليلون جداً.

على كل حال إن لكل من الكتب الفلسفية خصوصاً كتب فلاسفة الإسلام وكتب أهل الحال والعرفان أثراً..

الأول: أنها تعرّف الإنسان بما وراء الطبيعة ولو من بعيد.

الثاني: إن بعضها خصوصاً ـ مثل "منازل السائرين" و "مصباح الشريعة"(٢٢- منازل السائرين كتاب عرفاني وأخلاقي "للخواجه عبدا لله الأنصاري" وقد شرح هذا الكتاب الشريف العالم العارف " كمال عبد الرزاق الكاشاني". "ومصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة" كتاب في المعارف والمواعظ والأخلاق مشتمل على مائة باب يبدأ كل باب بجملة "قال الصادق" عليه السلام وفي هذا الكتاب ومؤلفة أقوال مختلفة وقد رجع إليه واعتمد عليه جمع من أجلاّء الإمامية منهم: السيد ابن طاووس، ابن فهد الحلي، المجلسي، الشهيد الثاني، الفيض الكاشاني، الكفعمي، النراقي الأول رضوان الله عليهم.) ـ الذي يبدو أن عارفاً كتبه باسم الإمام الصادق (عليه السلام) بطريقة الرواية- تهيئ القلوب للوصول إلى المحبوب.. وأكثر شيء إثارةً للقلوب مناجاة أئمة المسلمين وأدعيتهم الذين هم قادة إلى المقصود. يرشدون ويأخذون بيد طالب الحق ويأخذونه إليهم. للأسف، ومائة أسف أننا هجرناهم وابتعدنا عنهم فراسخ.

إبنتي: إسعي ـ إذا لم تكوني من أهله ولم تصبحي ـ أن لا تنكري مقامات العارفين والصالحين ولا تعتبري أن معاندتهم من الواجبات الدينية.

الكثير مما قالوه موجود في القرآن الكريم بشكل سرّي ومغلق. وقد ورد في أدعية أهل العصمة ومناجاتهم أكثر وضوحا.. ولأننا نحن الجاهلين محرومون منها (المقامات) فإننا نبادر إلى معارضتها..

يقولون: إنّ صدر المتألهين رأى بجوار المعصومة (سلام الله عليها) شخصاً يلعنه.. سأله: لماذا تعلن صدرا..

قال: لأنه يقول بوحدة واجب الوجود.

قال: إذن.. إلعنه.

هذا الأمر، حتى إن كان قصةً فهو يدل على واقع معين.. وقد رأيت أنا وسمعت قصصاً كانت في زماننا أنا لا أريد أن أطهر (أبرّئ) المدعين،

"فكثيراً ما تكون الخرقة مستوجبة النار"(٢٢-عجز بيت لحافظ الشيرازي.).

أريد أن لا تنكري أصل المعنى والمعنوية.. تلك المعنوية التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة، والمخالفون تجاهلوها أو تجاهلوهما أو أوّلوها بطريقة شعبية.

وأنا أوصيك أن الخطوة الأولى هي الخروج من حجاب الإنكار السميك الذي يمنع من أي تقدم وأية خطوة إيجابية.. وهذه الخطوة ـ الخروج من حجاب الإنكار ـ ليست كمالاً، إلا أنها تفتح الطريق نحو الكمال، كما أن اليقظة التي تعتبر في منازل السالكين المنزل الأول لا يمكن حسابها من المنازل، بل هي مقدمة وفتح للطريق إلى سائر المنازل..

على كل حال لا يمكن مع روح الإنكار الاهتداء إلى طريق المعرفة، أولئك الذين ينكرون مقامات العارفين ومنازل السالكين ـ لأنهم أنانيون مغرورون ـ فكل ما لا يعرفونه لا يحملونه على جهلهم (لا يقولون قد يكون صحيحا ولكنّا نجهله) فينكرونه حتى لا تخدش أنانيتهم، ويخدش عُجبهم (بأنفسهم) "أمّ الأصنام، صنم نفسك"(٢٤-صدر بيت لمولوي. الدفتر الأول.) وما لم تتم إزالة هذا الصنم والشيطان القوي من الطريق فلا سبيل إليه جلّ وعلا.. وهيهات أن يكسر هذا الصنم، ويروض هذا الشيطان..

نقل عن المعصوم "شيطاني آمن بيدي"(٢٥-روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "ما منكم إلا وله وشيطان" قالوا: وأنت يا رسول الله ؟ قال "وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم على يدي فلا يأمرني إلا بخير" علم اليقين ٢٨٢/١.). .. ويعلم من هذا النقل أن لكل شخص مهما كان عظيم الرتبة شيطانا.. وأولياء الله وُفقوا للسيطرة عليه بل لحمله على الإيمان..

تعلمين ماذا فعل الشيطان بأبينا العظيم آدم صفي الله؟ لقد أخرجه من جوار الحق.. وبعد وسوسة الشيطان والاقتراب من الشجرة ـ التي قد تكون النفس أو

بعض مظاهرها ـ جاء أمر﴿اهبطوا﴾ وكان ذلك منشأ جميع أنـواع الفـساد وجميـع العداوات، وقد تاب آدم عليه السلام، إذا أخذ الله تعالى بيده واصطفاه.

أنا وأنت المبتليان بالشجرة الإبليسيه، يجب أن نتوب ونطلب من الله تعـالى فـي السر والعلن، مستغيثين أن يأخذ بأيدينا وسيلةً يريد، ويوصلنا أيضا إلى التوبة، لعله يكون لنا حظ من الاصطفاء الآدمي. .

وهذا لا يمكن أن يكون إلا بالمجاهدة وترك شجرة إبليس بكل غصونها وأوراقها وجذورها المنتشرة في وجودنا. وهي كل يوم تزداد قوةً واتساعا.

بالتعلق بالشجرة الخبيثة وأغصانها وجذورها لا يمكن –بدون شك– الاهتداء إلى طريق المقصد. . وإبليس هدد بهذا ونجح نجاحا كبيراً..

ولا يستطيع أحدٌ أن يهرب من حيل الشيطان والنفس الخبيثة مظهر إبليس إلا عدد محدود من عباد الله الصالحين وأيضا الأولياء المقربون عليهم السلام.. وإذا اسـتطاع فإنها لا يستطيع أن يهرب من كل غصونها وجذورها الدقيقة والمعقدة جـدا إلا أن يأخذ الله المتعال بيده كما حرر صفي الله.. ولكن أين نحن من ذلك الاستعداد لقبول الكلمات..

الآية الكريمة في هذا الباب ينبغي التفكير فيها طويلا حيث يقول ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّه كَلِمَات فَتَابَ عَلَيْه..﴾(البقرة/٣٧).لم يقل سبحانه "وألقى إليه كلمات" كأن المراد إنه بالسير إليه تلّقي.. رغم أن في التلّقي إلقاء أيضا، ولكن بدون السير الكمالي لـم يكن القبول ممكنا..

ويجب التفكير أيضا في الآية الأخرى المرتبطة بهذه القضية، يقول سبحانه﴿..فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ..﴾(الأعراف/٢٢). وكأنّ كل ما كان منهما هو مجرد تـذوق لـيس إلاّ.. ومع ذلك فحيث أن ذلك حصل من مثل أبي البشر كانت له تلك النتائج..

في ضوء هذا يجب أن ننظر في ما نحن عليه حيث أنّا حتما مشدودون إلى جميع غصون وأوراق وجذور هذه الشجرة.

إبنتي: في الطريق آفات كثيرة.. لكل عضو ظاهر وباطن من آفات، وكل واحد حجاب.. إذا لم نتخطّه ونتجاوزه فلن نصل إلى أول خطوة من السلوك إلى الله.

إنّي أنا المبتلى، ـ وجسمي وروحي ألعوبة الشيطان ـ أشير إلى بعض آفات هذا العضو الصغير، هذا اللسان الأحمر الذي يطيح بالرأس النضر ويجعله ألعوبةً للشيطان وأداةً فيفسد الروح والفؤاد..

لا تغفلي عن العدو الكبير للإنسانية والمعنوية هذا.. أحياناً عندما تكونين في جلسات أنس مع صديقاتك إحسبي مهما استطعت الأخطاء الكبيرة لهذا العضو الصغير وانظري ماذا يفعل في ساعة من عمرك كان ينبغي أن تنفقيها للحصول على رضا الحبيب! وأية مصائب يسبب. إحدى هذه المصائب غيبة الأخوة والأخوات.. أنظري بماء وجه أي أشخاص تلعبين، وأية أسراراً للمسلمين تفرغينها في هذا المجلس. وأية حيثيات تخدشين وأية شخصيات تحطمين.. عندها خذي هذه الجلسة مقياسا ولاحظي ماذا فعلت خلال سنة سرتها على هذا المنوال.. في الخمسين أو الستين سنة القادمة ماذا ستفعلين.. وأية مصائب ستتسببين بها لنفسك ومع هذا تعتبرين ذلك صغيرا، وهذا الاستصغار نفسه من حيل إبليس.. حفظنا الله جميعاً منه بلطفه..

إبنتي: نظرةً قصيرة إلى ما ورد في غيبة المؤمنين وأذاهم والبحث عن عيوبهم وكشف سرهم واتهامهم تجعل القلوب التي لم تُختم بختم الشيطان ترتجف وتجعل الحياة للإنسان علقماً.. وها أنذا ولعلاقتي بك وبأحمد أوصيك باجتناب الآفات الشيطانية خصوصا الآفات الكثيرة للّسان، واهتمي بحفظه..

طبعا في البداية سيكون ذلك صعبا نوعا ما لكنّه بالعزم والإرادة والتفكير في عواقبه يصبح سهلا..

إعتبري من العبارة المعبرة جداً للقرآن الكريم حيث يقول:

﴿..وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ..﴾(الحجرات/١٢). لعلّها إخبار عن صورة العمل البرزخية ولعل الحديث

المنقول عن حضرة سيد الموحدين في مواعظه الكثيرة التي وعظ بها نوف البكـالي إشارةٌ إلى هذا الأمر بحسب أحد الاحتمالات.. وفي ذلك الحديث طلب من المولى موعظة فقال له: "اجتنب الغيبة فإنها أدام كلاب النار" ثم قال " يا نوف كـذب مـن زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة"(٢٦-بحـار الأنـوار ٧٥/ ٢٤٨ سفينة البحار مادة (نوف)).

ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله:"وهل يكبّ الناس في النار يوم القيامة إلاّ حصائد ألسنتهم"(٢٧-أصول الكافي كتاب الإيمان والكفـر بـاب الـصمت وحفـظ اللسان ج١٤ باختلاف يسير.). من هذا الحديث ومن الأحاديث التـي ليـست قليلـةً يُستفاد أن جهنم هي الصورة الباطنية لأعمالنا.

اللهم ارحمنا بنجاتنا وهذه النسوة والعوائل المرتبطة بنا(٢٨-ورد الدعاء للأقارب عن العظماء والأولياء في موارد مختلفة كما جاء في القرآن الكـريم ﴿رَبِّ اجْعَلْنـي مُقيمَ الصَّلاَةِ وَمِـنْ ذُرِّيَّتـي..﴾(إبـراهيم/٤٠).﴿رَبَّنَـا وَاجْعَلْنَـا مُـسْلِمَيْنِ لَـكَ وَمِـنْ ذُرِّيَّتِنَا..﴾(البقرة/١٢٨).وروي عن الإمام الباقر عليـه الـسلام أنـه أوصـى المـصلين بالدعاء لأقاربهم -البحار ٢٠٩/٨٢.) من الآفات الشيطانية ولا تجعلنـا ممـن يـؤذون المسلمين بلسانهم وعملهم.

هذه الصفحات كتبتها بناء لطلب فاطمة وأنا أعترف أني لم أسـتطع الهـرب مـن مكايد الشيطان. الأمل أن توفق فاطمة لذلك وهي تنعم بالشباب. والسلام على عباد الله الصالحين

١٢شهر رمضان المبارك ١٤٠٣ هـ

روح الله الموسوي الخميني

سـبيل المحبـة

إلى السيدة فاطمة

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزتي فاطمة

أخيراً فرضتِ عليَّ كتابة عدة أسطر، ولم تقبلي عذر الشيخوخة والتألم والابتلاءات.. الآن أبدأ الحديث عن آفات الشيخوخة والشباب، حيث أني أدركت المرحلتين، أو فقولي طويتهما. وأنا الآن في منحدر البرزخ أو النار وجهاً لوجه مع أعوان حضرة ملك الموت، وهذا تعرض علي صحيفة أعمالي السوداء، ويطلبون مني حساب عمري الضائع، ولا جواب لديّ سوى الأمل برحمة من وسعت رحمته كل شيء، الذي أنزل على من هو رحمةٌ للعالمين﴿..لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّه إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا..﴾(الزمر/٥٣)، عسى أن أصبح مشمولا لهذا النحو من الآيات الكريمة.

لكن ما العمل بالنسبة للعروج إلى حريم الكبرياء، والصعود إلى جوار المحبوب والورود إلى ضيافة الله التي يجب الوصول إليها بسعينا(١-يشير رضوان الله عليه إلى أن العمل مع الأمل برحمة الله تعالى هو المطلوب.. أما ترك العمل والإكتفاء بالأمل برحمة من وسعت رحمته كل شيء فهو مرفوض.. فإذا خلط المسلم بين عملٍ صالح وآخر سيئ لضعفه واعتمد على الأمل برحمة الله تعالى فإن هذه الرحمة إذا شملته تنقذه من العذاب.. لكنها لا تؤمن له الدرجات العلى مثل العروج إلى حريم الكبرياء والصعود إلى جوار المحبوب والورود إلى ضيافة الله فإن ذلك متوقف على العمل ولا يؤمنه الأمل وحده.)..

في (مرحلة) الشباب(٢-يؤكد الإمام كثيراً على مرحلة الشباب كما تري في رسائله هذه ويعتبر أن الشباب ربيع التوبة.. فعندما يهرم الإنسان أو يذهب شبابه تضعف إرادته كما تضعف قواه البدنية. فلا يعود قادراً على العزم على ترك

المعصية.. ولا قادراً على تدارك ما فات بالسهولة التي كانت متاحة لـه فـي شـبابه. والسبب في ضعف القوى المعنوية ومنها ـ الإرادة ـ هو تمكن جذور شجرة حـب الدنيا من قلبه.. حيث تضرب في أعماقه بعيدا مما يجعل اقتلاعها عـصياً..)، حيـث كان النشاط والاستطاعة، وبمكائد الشيطان انشغلت بالمفاهيم والاصطلاحات المنمّقة والمبهرجة.. ولم يحصل لي منها جمعية ولا حال، ولم أحاول أبدا الحـصول علـى روحها ولا إرجاع ظاهرها إلى باطنها وملكها إلى ملكوتها وقلنا:

"لم يتحصل من قيل المدرسة وقالها إلا الكلام المحزن بعـد كـل ذلـك الجهـد والتوثب"(٣-مضمون بيت.).

وقد غصت في عمق الاصطلاحات والاعتبارات وانشغلت بدلاً من رفع الحجـب بجمع الكتب وكأنه ليس في الكون والمكان وجود لغير حفنةٍ من ورق ممزق سمّيت باسم العلوم الإنسانية والمعارف الإلهية والحقائق الفلـسفية.. مـع أنهـا تحـول بـين الطالب المفطور بفطرة الله وبين الوصول إلى المقصد وتغرقه في الحجاب الأكبر.

الأسفار الأربعة (٤-الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، وقد اشتهر باسم: "الأسفار الأربعة" لصدر المتألهين صدر الدين الشيرازي رضوان الله عليـه.) بطولهـا وعرضها منعتني من السفر إلى المحبوب. لا من الفتوحـات(٥-الفتوحـات المكيـة للعارف الكبير محـي الـدين بـن عربـي رحمـه الله.) حـصل لـي فـتح.. ولا مـن "فصوص"(٦-فصوص الحكم لابن عربي أيضا ويعتبر أهـم كتبـه علـى الإطـلاق) الحكم" حصلتُ على حكمة.. فضلا عن غيرهما الذي له قصة محزنة..

وأصبحت في كل خطوة مني مبتلىً بالاستدراج إلى أن بلغت الكهولة وما فوقهـا التي أكابدها الآن﴿..وَمِنْكُمْ مَـنْ يُـرَدُّ إِلَـى أَرْذَلِ الْعُمُـرِ لِكَـيْ لاَ يَعْلَـمَ بَعْـدَ عِلْـمٍ شَيْئًا..﴾(النحل/٧٠).

ولأنك يا ابنتي بعيدة عن هذه المرحلة عدة فراسخ ولم تتذوقي طعمها أوصـلك الله إليها، فإنك ـ ودون الوقوع فـي آفاتهـا ـــ تتـوقعين منـي الكتابـة والحـديث، وتمزجين أيضا بين النظم والنثر.. ولا تعلمين أنني لست كاتبا ولا شاعرا ولا خطيبا.

وأنتِ يا ابنتي العزيزة التي (لم تخبري الحياة بعد)، (أصبحت حلوى قبل أن تصبح حصرما)(٧-مثل. . يقال لمن لم يخبر الحياة.) اعلمي أنك سوف تحملين على ظهرك يوما حمل التأسف الثقيل على الشباب الذي تضيعينه بهذه المشاغل أو بما هو أفضل منها كما أحمله أنا (وسوف ترين) أن قافلة العشاق المحبين لله فاتتك لا سمح الله.. إذن اسمعي من هذا الهرم البائس الذي يحمل هذا الحمل وقد انحنى تحته.

لا تكتفي بهذه الاصطلاحات التي هي الفخ الكبير لإبليس وكوني بصدد البحث عنه جل وعلا..

أيام الشباب وأنسها وملذاتها سريعة الزوال.. وأنا قد طويت جميع مراحلها وأصارع الآن عذابها الجهنمي. والشيطان الداخلي مصرٌ على إبقاء روحي في قبضته كي ـ والعياذ بالله تعالى ـ يسدد الضربة الأخيرة ولكنّ اليأس من رحمة الله الواسعة هو في حد ذاته من الكبائر العظيمة ولا قدّر الله أن يبتلى العاصي به. يقال أن الحجاج بن يوسف مجرم التاريخ قال في آخر عمره: اللهم اغفر لي رغم أني أعلم أن الجميع يقولون إنك لا تغفر لي. وعندما سمع الشافعي ذلك قال: إذا كان قال ذلك فلعلّ.. وأنا لا أعلم هل وفّق ذلك الشقي لهذا الأمر أم لا ولكنني أعلم أن الأسوأ من كل شيء هو اليأس..

وأنتِ يا بنيتي لا تغترّي بالرحمة فتغفلي عن المحبوب ولا تيأسي فتخسري الدنيا والآخرة..

حفظ الله بحق أصحاب الكساء الخمسة أحمد وفاطمة وحسن ورضا وعلي ـ الذين هم من سلالة الرسول العزيز ووصيَّه وبهذا أفتخر ويفتخرون ـ من الشرور الشيطانية والأهواء النفسانية..

انتهى هنا كلامي وحجة الله تامةٌ عليّ والسلام..

محتويات الكتاب